المشرق

كتبة العرب وجغرافيّة سوريّة

نظر للاب هنري لامنس مدرّس الجغرافية الشرقيّة في المكتب الشرقيّ

ذكرنا في مقالتنا السابقة بطيب الثناء احد جغرافيي الاسلام شمس الدين المقدسي. وليس هو الكاتب الوحيد من العرب الذي ضنّ تأليفهُ الفوائد المتعدّدة في وصف سوريّة. وفي نيّتنا ان نعود مرارًا الى ذكر هؤلاء الكتبة في اثناء مقالاتنا الآتية عن هذه البلاد. وعليه أردنا أن نفرد لهم فصلًا كاملًا ليكون القرّاء على بصيرة من شهاداتهم ويقدّروا كتاباتهم قدرها

١

الجغرافيّون العرب الاقدمون

كان اوّل فتح سوريّة على يد القائد الكبير خالد بن الوليد الذي دخل دمشق بعد اواسط السنة ٦٣٦ للميلاد ثمّ أتمّ فتح بقيّة بلاد الشام في السنين التالية. فلمّا انتشرت العلوم بين العرب في القرن التاسع اخذ كتبتهم في ذكر الشام ووصف محاسنها وواصلوا هذه المصنّفات الى اواخر القرن الخامس عشر فنهم من اتّسع في وصفهِ ومنهم من اقتصر على بعض الفوائد فلو جُمعت كلّ هذه المآثر للدوّنة في زمن لا يقلّ عن ستة قرون لاندهل الأدباء من وفرتها. والحقّ يُقال ان كتبة العرب في الابحاث الجغرافيّة كما في غيرها من الفنون قد خلّفوا لنا من الآثار ما لا يجاريهم في كثرتهِ غيرهم من الشعوب. فيتحتّم علينا ان نبيّن شأن هذه التآليف ونعرّف قدرها وما يمكن العلماء ان يستخلصوا من فوائدها

لو تتبَّعنا تاريخ العرب في الازمنة العريقة في القدم لوجدناهم مزدانين بخلال فريدة للضرب في البوادي وللسياحة في البلدان. تصفَّحْ سفر التكوين لموسى كليم الله فانَّهُ قد ذكر غير مرَّة عرب البادية في أيَّام الآباء بعد الطوفان منذ ابرهيم الخليل الى يوسف الحسن وغاية ما يُستنتج من اوصافهِ انَّ العرب كانوا في ذلك الوقت ما عَهِدَهم التاريخ في الاجيال التابعة. فانَّهم يظهرون لنا كقوم رُحَّل يقودون القوافل ويتجشَّمون الاسفار للتجارة وقد جعل الله في يدهم زمام حيوان صبور يزيد نفعهُ على منافع الخيل المطهَّمة نريد الابل المعروفة بسُفُن البرّ. وهذا الوصف لا يختلف ذرَّةً عن احوال العرب في كرور الدهور حتَّى القرن السابع بعد الميلاد حيث ترى قريش تتولَّى قيادة القوافل وتمتار الميرة وتنقل السلع الى اسواق العراق والشام واليمن والحبشة ومصر

وليس بين التاجر الرحَّالة والجغرافيّ المخطِّط للبلدان مدًى واسع فانَّ المسافر يحتاج كالجغرافيّ الى التنقيب عن أحوال الأمم والامكنة التي يتردَّد اليها فيتبصر في مرافقها ويدرس طباعها ويبحث عن ثروة تربتها وغلَّاتها وطُرقها وطوارئ هوائها من حرّ وقرّ وكلّ ذلك يباشرهُ الرحَّالة لمنفعتهِ الخاصَّة كما يتولَّاهُ الجغرافيّ لنفع العموم. ومن هنا تعرف ان درس الجغرافية من اجمع الوسائل واكفلها بالربح في التجارة الواسعة

وممَّا زاد العرب نشاطًا في درس البلدان واعانهم على الرصود الجغرافيَّة التي خُصَّت بمراقبتها طباعهم ما اتاحهم الله من الفتوحات العظيمة في القرنين السابع والثامن. فانَّ سلطتهم بلغت ما وراء البلاد التي اتصلت اليها يد الاسكندر ذي القرنين. فلا غروَ انهم حاولوا معرفة الاقطار التي جعلها الله في حوزتهم فاسرعوا الى تقويمها وتحديد ثغورها واستطلاع خواصها. وقد ساعدهم على ذلك ما وقفوا عليهِ من المصنَّفات الجغرافيَّة السابقة لعهدهم من اوضاع الهنود والفُرس واليونان والرومان ممَّا نُقل الكثير منهُ الى العربيَّة. وكان العرب من أجدر الناس بان يبنوا لعلم الجغرافية صرحًا شامخًا متينًا بما توفَّر لديهم من الوسائل الضامنة لبلوغ هذه الغاية الشريفة وذلك بان يضيفوا معلوماتهم الى معلومات اسلافهم. وسوف نذكر سبب قصورهم عن هذه البغية الجلّى وان نال البعض منهم من ذوي المدارك العالية اسهمًا رابحة من المجد فكادوا يفوزون بقصبة السبق في هذا الميدان الجليل

وممَّا يجب الاقرار بهِ فضل كتبة العرب في وصف البلدان وتعريف خواصها. وذلك

مدخل العلوم الجغرافيَّة ومقدَّمتها يكفي للقيام به ان يكون الكاتب باصراً متروِّياً يُحسن مراقبة المرئيَّات دون ان يحتاج الى شيء من الآلات الرصديَّة او من العلوم الاعداديَّة. فمن ذلك أنهم احكموا معرفة اوساط آسية فاصلحوا أموراً عديدة مما رواهُ قبلهم اليونان والرومان راسمين كلامهم على عواهنه. مثال ذلك ما افادنا الرومان عن الصين حدساً وسماً أمَّا العرب فانَّهم تفقَّدوا مملكة ابن السماء بل بلغوا بلاد كورية ولعلَّهم ادركوا حدود اليابان. وقس على ذلك قارة افريقية فان الرومان جعلوا الصحراء حدودها فلم يعرفوا ما وراء تلك المفاوز المجهولة. اما العرب فانَّهم تجاوزوا تلك الحدود وطافوا في مجاهل افريقية الى قلب تلك البلاد. وهم اوَّل من ابحر الى جزيرة مدغشكار فعرَّفوا موقعها

اما الجغرافيَّة العلميَّة فانَّ معلومات العرب فيها محصورة ضيِّقة النطاق. فانَّ معرفتهم مثلاً لأعراض البلاد قد تشيَّبوا فيها آثار القدماء فاصابوا أو اخطأوا كلَّما اصاب أو اخطأ اسلافهم. اما خرائطهم ورسومهم لهيئة البلدان فانَّها غريبة الاشكال بعيدة عن مظانّ الحقّ (١ وقد اثبت منها المشرق مثالاً ملوناً فراجعهُ (المشرق ٣ : ١١٢٨) وها نحن ندوِّن هنا مثالاً آخر ننقلهُ ببعض الوانهِ عن كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الادريسي كما يُرى في احد مخطوطات مكتبة باريس العموميَّة. ولعلَّهُ احكمُ وأتقنُ ما وضعهُ العرب من الخرائط فانَّ البحر فيها مرسوم باللون الازرق ومجاري الانهار بالاخضر (٢. واغرب ما في هذا الأثر انَّ صاحبهُ سعى بتصوير سلسلة الجبال بتخطيطات مقطَّعة كما يشير اليها الجغرافيُّون المحدثون بعد أن حسَّنوا هذه الطريقة وزادوها دقَّة

هذا وان في رواياتهم واوصافهم نفسها مبالغات هي من الغرابة بمكان ينبغي على العاقل أن لا يقبلها الَّا بعد الرويَّة والانتقاد وهذه النقيصة تعمُّ زمانهم حيث كانت العلوم الطبيعيَّة في مهدها

وممَّا يؤخذ على كثيرين منهم آفة النقل والسرقة فانَّهم يروون ما سبق اليهِ غيرهم

---

١) اطلب تاريخ الجغرافية لسان مرتين وڤول (Vivien de St Martin: *Histoire de la Géographie*, 265; K. Weule: *Geschichte der Erdkenntnis und der geogr. Forschung*, 129-152)

٢) راجع Bulletin de l'Académie d'Hippone, 1896-1898, p. 12-13

بحرفهِ دون الاشارة الى التآليف التي نقلوا منها . وربَّما خُدع القارئ بكثرة الشواهد في بعض الامور ولو تروَّى لوجد انها كأنها راجعة الى مصدر واحد وانَّ الخلَف نسخوا عن السَّلف دون فرقٍ يُذكر في اللفظ والمعنى . ودونك ما كتبهُ في هذا الصدد شمس الدين المقدسيّ وغايتهُ ان يبيّن بقولهِ فضل تأليفهِ على تآليف من تقدَّمهُ . وكلامهُ مع طولهِ جديرٌ بالاعتبار يوقفنا على طريقة بعض كتبة العرب في مصنَّفاتهم الى زمن المؤلف في القرن العاشر قال :

اعلم اني اسَّستُ هذا الكتاب على قواعد محكمة واسندتهُ بدعائم قوية وحرَّيت جهدي الصواب . واستعنت بفهم اولي الالباب . . . فما وقع عليهِ اتفاقهم اثبتهُ . وما اختلفوا فيهِ نبذتهُ . وما لم يكن لي بدٌّ من الوصول اليهِ والوقوف عليهِ قصدتهُ وما لم يقرّ في قلبي ولم يقبلهُ عقلي اسندتهُ الى الذي ذكرهُ او قلتُ زعموا . ووشَّحتهُ بفصول وجدتها في خزائن الملوك

وكل من سبقنا الى هذا العلم لم يسلك الطريق التي قصدتها ولا طلب الفوائد التي اردتها . اما ابو عبدالله الجَيْهاني فانهُ كان وزير امير خراسان وكان صاحب فلسفة ونجوم وهيئة فجمع النر باه وسألهم عن المسالك ودَخْلها وكيف المسالك اليها وارتفاع المنَّس منها وقيام الظل فيها ليتوصَّل بذلك الى فتوح البلدان ويعرف دخلها ويستقيم لهُ علم النجوم ودوران الفلك ألا ترى كيف جعل العالم سبعة اقاليم وجعل لكل اقليم كوكباً مرَّة يذكر النجوم والهندسة بكرَّة يورد ما ليس للعوام فيهِ فائدة وتارةً يثبت اصنام الهند وطورًا يصف عجائب الهند وحينًا يفصل الخراج والردّ ورأيتهُ ذكر منازل مجهولة ومراحل مهجورة ولم يفصّل الكُوَر ولا رتَّب الاجناد ولا وصف المدن ولا استوعب ذكرها بل ذكر الطرق شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا مع شرح ما فيها من السهول والجبال والاودية والتلال والمشاجر والاحصار وبذلك طال كتابهُ وغفل عن اكثر طرق الاجناد ووصف المدائن الجياد . واما ابو زيد البلخي فانهُ قصد بكتابهِ الاشكلة وصورة الارض بعد ما قسمها على عشرين جزءًا ثم شرح كل مثال واختصر ولم يذكر الاسباب المفيدة ولا اوضح الامور النافعة في التفصيل والترتيب وترك كثيرًا من امهات المدن فلم يذكرها وما دوَّخ البلدان ولا وطئ الاعمال . ألا ترى ان صاحب خراسان استدعاه الى حضرتهِ ليستعين بهِ فلمَّا بلغ جيحون كتب اليهِ « ان كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فان رأيي يمنعني من عبور هذا النهر » فلمَّا قرأ كتابهُ امرهُ بالخروج الى بلخ . واما ابن الفقيه الهمذاني فانهُ سلك طريقة أخرى ولم يذكر الَّا المدائن العظمى ولم يرتب الكُوَر والاجناد وادخل في كتابهِ ما لا يليق بهِ من العلوم مرة يزهد في الدنيا وتارةً يرغب فيها ودفعةً يُبكي وحينًا يُضحك ويلهي . واما الجاحظ وابن خرداذبه فان كتابيهما مختصران جدًّا لا يُحصل منهما كثير فائدة

ثمَّ عاد المؤلف بعد هذا بأسطر الى تبرئة نفسهِ من جناية السرقة فقال (ص ٦) :

لا نذكر شيئًا قد سطَّروه ولا نشرح امرًا قد أوردوهُ الَّا عند الضرورة لئلَّا نبخس حقوقهم ولا نسرق من تصانيفهم

ومع هذا ترى المقدسي نفسهُ بعد قولهِ عن ابن خرداذبه انهُ « مختصر جدًّا لا يُحصل منهُ كثير فائدة » ينقل عنهُ كل أقيسة مراحلهِ وتفاصيل أخرى عديدة دون ان يذكر اسمهُ وهو يفصل بابن الفقيه فعلهُ بابن خرداذبه فيأخذ عنهُ نصوصاً كثيرة ولا يذكر اسمهُ اكثر من ثلاث مرَّات مع انهُ يلومهُ لادراجهِ اشياء عديدة في كتابهِ لا طائل تحتها

ومما نأخذهُ على جغرافيي العرب انهم لم يكتفوا بوصف بلاد مخصوصة بل وسَّعوا نطاق عملهم الى جغرافيَّة الارض كلها باقاليمها وقد جروا في ذلك جَرْيَ المؤرخين الذين ارادوا تدوين اخبار العالم كلهِ والممالك جمعاء. فكانت نتيجة هذا العمل انهم لم يُعطوا البلاد حقَّها من الوصف. وكذا يُقال عن بلاد الشام التي لا تشغل في تآليفهم الَّا مكانًا ضيقًا ولو قصروا النظر اليها وحدها لأدَّوا حقوقها واستوفوا معانيها ولعلَّهم فعلوا ذلك لعلمهم بندرة الكتب لتكون تآليفهم جامعة لشتات التاريخ والوصف البلدان ونحن مع إقرارنا بهذه المنفعة نتأسف على قلَّة من تَصَقوا في تعريف بلادنا. ألا ترى مثلاً ابا الفداء وموطنهُ بلاد الشام لو اجتزأ بوصف بلاده بدلاً من وصف كلّ البلاد لكان كتابهُ تقويم البلدان اجزل قيمًا واكمل وصفًا يحتوي من التفاصيل ما لا يُرى في غيرهِ كما فعل الهمدانيّ في « صفة جزيرة العرب »

وقد بقي علينا ان نورد هنا اخصّ المطبوعات الجغرافيَّة لأنَّنا في المقالات التالية سوف نشير اليها مرَّات عديدة. فها نحن نذكرها مع بيان خواصها وفضل اصحابها. وقد اكتسب المستشرقون شكر العلماء اذ وجَّهوا الانظار الى اخصّ النصوص التاريخيَّة والجغرافيَّة فنشروها وقرَّبوا بنشرها منافعها وادنوا مواردها بحيث امكن المنتقد ان يتبيَّن ما تتضمَّنهُ من الفوائد والفرائد

وكان الشرق حقيقًا بان يوازر المستشرقين بالعمل لكنَّ اهل الشرق قد شُغلوا عن ذلك بما صرفهم في نشر التآليف الجغرافيَّة القديمة اللهمَّ الَّا القليل منها. وهذه المطبوعات نفسها خالية من النظر الانتقادي لا ترى فيها شيئًا ممَّا يدلّ على البحث والتنقير كالروايات المختلفة والمقابلة مع النصوص المتشابهة والفهارس الواسعة. ولا نستثني من هذا النقد طبعة صبح الاعشى للقلقشندي التي ابرزتها آخرًا المطبعة الخديويَّة وان كانت تفضل غيرها من الطبعات الشرقيَّة في هذا الباب. لكنَّ همَّة المستشرقين قد سدَّت هذا الخلل في ما نشروهُ في المانية وفرنسة من النصوص الجغرافيَّة

وبين البلاد التي اصابت السهم الافوز في نشر التآليف الجغرافيَّة بلاد هولندة. فانَّ هناك طُبع ذلك المجموع الفريد في ثمانية مجلَّدات المعروف بمجموع جغرافيي العرب (Bibliotheca geographorum arabicorum) وقد قام بهذا العمل رجلٌ همام من كبار المستشرقين احرز له بذلك مجدًا اثيلًا ألا وهو العلَّامة دي غوي (de Goeje) احد اساتذة كليَّة ليدن. وقد اودع هذا المجموع اجلّ المصنَّفات كالمسالك والممالك للاصطخري ولابن حوقل والمسالك والممالك لابن خرداذبه ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمذاني وكتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته والتنبيه والاشراف للمسعودي وكتاب البلدان لابن الواضح اليعقوبي. وممَّا سعى بطبعه داود مولّر من اساتذة ڤينَّة كتاب صفة جزيرة العرب. ولكلّ هذه التآليف حواشٍ وتذييلات معتبرة وفهارس واسعة فضلًا عن جداول لغويَّة للالفاظ الغريبة والمفردات العويصة التي تفرَّد بها بعض الكتبة دون البعض. وفي هذه الجداول من الفوائد ما لا يُنكَر ومن شأنها ان تساعد على تأليف معجم مطوَّل للغة العربيَّة يكون مبنيًّا على النصوص القديمة لا يكتفي فيه صاحبهُ بنقل القواميس السابقة

ومن افضل ما عُني المسيو دي غوي بنشره كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للامام شمس الدين المقدسي فانَّ في هذا الكتاب من المحاسن ما لا تراهُ في غيره لاسيما في احوال الشام على عهده اي في القرن العاشر ولذلك قد احببنا ان نكتب فيه فصلًا منفردًا في مقالة آتية (لهُ بقيَّة)

اثر جديد

لغبريال الثامن بطريرك الاقباط

نشره بالطبع لاوَّل مرَّة وعلَّق حواشيه الاب اطون رباط اليسوعي

تَوْطئة

نشرنا على صفحات المشرق (٧ : ٨٥٣ و٨٨١ و٩٥٥) سبعة نصوص عربية لم تعرف حتى الان ولم يسبق طبعها. كنَّا نقلناها بالتصوير عن اصلها المخطوط في المكتبة الڤاتيكانية بروميَّة العظمى. موضوعها رجوع الطائفة القبطية الى حجر الكنيسة الكاثوليكية في السنوات الاخيرة من القرن

السادس عشر . منها صورة ايمان البطريرك غبريال او جبرائيل قدّمها للحبر الروماني اقليمنضوس الثامن مع رسلو القمص غبريال رئيس دير المحرق والقس غبريال راهب دير الطير وبرسوم ارشيدياقون كنيسة الاسكندرية المرقسية . وقد عثرنا في هذه المدة الاخيرة على المذكرة التي اعطاها البطريرك الى مرسليه وهي محفوظة في رومية فآثرنا نشرها تتمة لما سبق سلفين عليها بعض الحواشي . اما المذكرة فهي هذه بحروفها

بسم الله الرؤوف الرحيم

المجد لله دايماً ابدًا

الخلاص للرب يا الله الخلاص (١

Ⲥⲉⲛ ϥⲣⲁⲛ ⲙⲡⲉϥⲣⲙⲛ̀ⲧⲣⲉ ⲛⲉⲙ ⲡⲉϥⲓⲱⲧ

ⲛⲉⲙ ⲡⲓⲙⲁ ⲉⲑⲃⲉ ⲟⲩⲛⲟⲧϥ ⲛⲟⲩⲧⲉ

انا غبريال (٢ بطريرك مدينة الاسكندريّة وما معها أُعطي البركة للقمص غبريال

---

١) قد صدّر البطريرك غبريال رسالتهُ بهذا العنوان على صورة مشتبكة اراد بها الكاتب التمثيل بالخط الكوفي او بالطغريات (المشرق ٦ : ٥٠٤ و ٧ : ٨٥٥ و٨٥٧) اطلب ايضاً رسالته للبابا اقليمنضوس المؤرخة في ٣٠ برموده ١٣١٧ قبطية الموافقة لسنة ١٦٠١ ميلادية اي لربع سنوات بعد تاريخ رسالتنا هذه نشرها بالطبع صاحب السعادة يعقوب ارتين باشا في (Bulletin de l'Institut Egyptien, 26 Décembre 1904, 6e fasc. p. 205) وقد قرأ سعادته : « الحمد لله كلّا ابدًا الخلاص من الرب » ونظن انّ قراءتنا هي الصواب

٢) هو البطريرك غبريال الثامن خلف في حزيران سنة ١٥٨٥ البطريرك يوحنا المتوفى في ٥ ايلول ١٥٨٤ وكان قد سمع من الاب يوحنا باطيشتا اليانو اليسوعي حجج الدين الكاثوليكي فمال اليهِ . ولمّا استتب اليهِ الامر اصلح كثيرًا من الموائد والاضاليل المنتشرة بين ذويه وسعى بارجاعهم الى الكنيسة الجامعة كما تشهد على ذلك رسائله التي نحن بصددها . وقد ذكرنا في كتابنا (Documents inédits pour servir à l'Histoire du Christianisme en Orient, T. I, p. 207) انهُ هو ذات غبريال النائب البطريركي الساعي في اخفاق مساعي المرسلين سنة ١٥٦٢ و١٥٨٣ والراغب في التملك على الكرسي البطريركي . لكننا عثرنا اخيرًا على رسائل تثبت ان الكاهن غبريال لم ينل مبتغاه فنودي بالقمص شنوده بطريركًا

قال الاب ساكسو (Saxo) رفيق الاب اليانو في مقالة خطية ذكر فيها احوال الاقباط سنة ١٥٨٤ وموت البطريرك : Verum quoniam vita et mors in Dei unius potestate sita sunt, contigit ut, revertente illo [Patriarcha] diem suum obiret, Nonis Septembris, idque in quodam oppidulo unius vel alterius diei itinere a Cairi civitate. الذي تعريبهُ : «ولمّا كانت الحياة والموت في يد الله عزّ وجلّ وحده حدث ان البطريرك لمّا

راهب دير المحرق (وكذلك القس جبريال راهب جبل الطير) (١ وكذلك للارشيدياقن يوسوم كنيسة مار مرقس الانجيلي بارك الله عليهم. تعلمهم ان تكون هذه الورقة تفكرة.

يومهُ الاخير في الخامس من ايلول (١٥٨٦) وهو عائد. وكان ذلك في قرية تبعد يوماً او يومين عن مدينة القاهرة»

وقال ماريانو ماريافي التاجر في رسالة بعث بها من القاهرة في ٢٩ حزيران ١٥٨٥ الى الاب اليانو: Già tre giorni è stato nominato, per quanto si dice, nuovo Patriarca il *Comos Sunude*, ermita, ma per ancora non eletto . . .

الذي تعريبهُ: «منذ ثلاثة ايام قد سمي - على ما قيل - القس شنوده الراهب بطريركاً جديداً لكنهُ لم يُنتخب بعد. . .»

وقال بارلو ماريافي تنصل دولة فرنسة سابقاً ثم تنصل انكلترة وصقلية وفلورنسة وجينوا في رسالة من الاسكندرية (٦ كانون الثاني ١٥٨٦) بعث بها الى الاب اليانو: Il Patriarca nuovo dovrà venire qui nella quaresima per fare le ceremonie loro e pigliar possesso del Patriarcato, il che non si può fare senon qui, in Alexandria ... e volendo haver informazione di questo nuovo Patriarca Gabriel, aliàs *abuna Sonude*, di V. R. benissimo conosciuto e praticato nel deserto di S. Macario, *Gomos Iuanna*, (arciprete della chiese di S. Marco, e vicario qui del Rmo Patriarca), mi dice esser persona idiota, ma di buona mente, e che ha levato molti abusi che già eran tanto in uso fra loro che non facevan secondo il rito christiano, ma alla moresca, il che dice esser causato per mezzo di V. R. mentre che era nel deserto patricolarmente trattendone con questo eletto Patriarca et molti alii . . .

الذي تعريبهُ: ان البطريرك الجديد سيأتي الى هنا في زمن الصوم الاربعيني ليقيم الحفلات ويتبرأ الكرمي البطريركي وهذا الامر لا يمكن ان يتم الّا في الاسكندرية. ولمّا كنت اريد ان استطلع طلع اخبار البطريرك الجديد جبريال - الذي كان اسمهُ بونا شنوده - المعروف حق المعرفة من ابوتكم لمعاشرتكم لهُ في برية مار مكاريوس آخبر في القس يوحنّا (خوري كنيسة مار مرقس ونائب البطريرك في الاسكندرية) انهُ رجل بسيط لكنهُ ذو نيّة سليمة وانهُ قد ابطل كثيراً من العوائد السيئة التي تعلق بها الأقباط حتى انهم لم يكونوا يعيشون حسب الطقوس المسيحية. . . ويقول القس ان هذا الاصلاح مرجعه لابوتكم عندما كان في البرية لانكم اكتسبتم هذا البطريرك المنتخب وغيره كثيرين. . .» وذكر الكاتب بعد ذلك عدداً من العوائد المتعلقة بعقد الزواج والطلاق الخ. وسننشر هذه التفاصيل في الاجزاء اللاحقة من مجموعتنا ان شاء الله

(١ قد زيد هذا الاسم على الهامش كما في الرسائل التي سبق نشرها (المشرق ٧: ٨٥٦) لكن النص لم يبدل فيهِ شيء فبقي في بعض التيقّن على صيغة المتن كما سترى

يديهما لاجل ما تحتاجهُ من المصالح في مدينة رومية والوصية لهم بما يعملوه . اول كلّ شيء بان يكونوا ادباء حكماء عفوفين ماشين بخوف الله حافظين وصاياه طاهرين النفس والجسد ويكونوا كلمة واحدة ومحبّة واحدة ورأي واحد بالصلح والسلامة حتى ان جميع من يراكم على هذه الصفة يشكر الله اولًا ويمدحكم على حسن صنيعكم . ولا تدعوا احدًا يشك من قبلكم . واذا اكملتم هذه الوصايا صار لنا بياض الوجه من قبلكم . وتكونوا وكلاء عني في تقبيل اجساد ماري بطرس وبولس وجميع القديسين الذين بمدينة رومية المقدسة وتدوروا على جميع اخوتي الكردنالات وتقبلوا لنا ايديهم . وقد نوصيكم الوصيّة التامّة بأن لا تخرجوا عن طاعة وكلائي ووكلاء شعبي وهما كردينال دكومرا وكردينال سان جرجس (١ وما تفعلوهُ يكون بمشورهم وارادتهم . ولا تدعوا احدًا يخدمكم من التراجين الّا من تراجين كتّاب (٢ جبل لبنوا (٣ الذين هم المارونيين فانهم من اقاربنا وعارفين بلساننا واصحابنا (٤ ولا يكون لكم عشرة باحد من ما يصلح . وتكونوا حافظين ناموسكم وحرمتكم فان مقامكم من مقامي . وانكم تقبلوا لنا ايادي السيد البابا وتسألوا من تفضلاته واحسانه بان ينعم علينا ويتصدق في كلّ سنة بترتيب جامكية (٥ فاننا في غاية الضيق والشدّة وما تحتاجه كنائسنا واديرتنا والفقراء والمساكين والارامل والايتام والذين بالسجون والحديد بسبب الجوالي (٦ وغيرهم . واذا فعل ذلك يكون وسيطًا وسببًا في فكهم من اليسر [الاسر] وخلاصهم بدين المسيح . وبالاكثر ما يحصل على الكنائس والديورة من

---

١) هما الكردينالان de Saint - Georges و de Côme

٢) كتّاب ج كتائب وهو موضع التعليم او المدرسة

٣) يريد المدرسة المارونية الرومانية التي انشئت قبل تاريخ هذه الرسالة بسنين قليلة وقد عبنا لكتابته « جبل لبنوا » بدلًا من لبنان مع ما يظهر للكاتب من المعرفة في اللغة العربية على خلاف عادة الكتّاب النصارى في تلك الازمنة فكأنما به قد سمع فاكياتي وغيره ينطقون بالكلمة نطقًا افرنجيًا فنقلها كما سمعها

٤) لا ندري ما يكون وجه القرابة والصداقة بين الانباط والموارنة في تلك العصور ولم نعرف حتّى الان علاقة بين الامتين خلا الاصل الشرقي والتكلم باللغة العربية ولعلّهُ يريد فقط قرب مصر من جبل لبنان

٥) كلمة فارسية ج جوامك معناها طيبة وجالة ومعاش ترادفها لفظة علائف في كتب القرون المتوسطة

٦) مفردها جالية يراد بها الجزية والضرائب والغرامات

للغارم في كلّ حين . وانتم يا اولادي تعرفوا ذلك اكثر مني ومن فمكم تعرّفوا السيد البابا من ذلك . فان السيد المسيح اعطاهُ السلطة على سائر المسيحيين وابوهم وابونا نحن ايضاً وحيث ما هُو ابونا فيساعدنا في ضيقنا الذي نحن فيهِ لانّا نحن عتقنا بدم المسيح مثل اخوتنا المسيحيين الذين برومية وغيرها . وقدس الأب يعدّنا واحد من جملة الذين عنده لكون ان صدقاتهِ كثيرٌ (كذا) . واذا كان عنده الف او اكثر نصير واحد من جملتهم . وتعرفوا السيّد البابا بان يعمل معنا هذه الرحمة اكراماً للاتحاد المقدّس الذي صار بيننا . ونحن بقوّة الله تعالى اذا صار انعامه علينا وتفضلاته واصلة الينا في كلّ سنة نفتح كتّاب وندع (كذا: نضع) فيهِ معلمين يعلّموا الشعب ويعظوهم بالتعاليم المسيحيّة ليزداد الايمان الكاثوليكي وينتشر في سائر ارضنا وبلادنا (١ ثمّ تسألوا لنا من قدس الاب ان قد بلغنا ان سائر الطوائف المسيحيّة لهم كتّاب وكنائس بمدينة رومية (٢ فيفتح لنا كنيسة لطائفة الاسكندرانيين والمصريين ليصير لنا تذكار في زمانهِ المبارك (٣ وبعد ذلك يقدّرنا الله سبحانه وتعالى على تجهيز بعض قسوس وشمامسة وخدّام يخدموا تلك الكنيسة ويصلّوا فيها ويطلبوا من الله لنا ولشعبنا لكون حتى لا نصير ناقصين عن الطوائف الذي هناك . وتطلبوا لنا منهُ كتب الناجيل وكتب القديسين وكتاب اصل المجامع المقدّسة

---

١) يريد مدرسة . وقد وعد البطريرك هذا الوعد لمرقص عظيم رغبة الكرسي الرسولي في تعليم الاحداث الشرقيين على مبادئ الدين المسيحي . وقد الحّ الاحبار اشدّ الالحاح على سلفاء غبريال الثامن يرغبونهم في تهذيب الناشئة ويسهلون عليهم السبل لذلك (اطلب ما تقدّم في كتابنا Documents inédits T. I, صفحة ٢١٥ و٢٥٤ و٢٥٨ و٢٦١ و٢٦٤ و٢١٤ و٥٢١ و٥٢٥ وقد ذكرنا في مواضع اخر نصوصاً كثيرة تتعلق بتهذيب الاولاد من سائر الطوائف المسيحية

٢) من اعمال البابا غريغوريوس الثالث عشر الجليلة انشاؤه مدارس لكثير من الامم والطوائف وسعيه في نشر العلوم الدينية بين الشرقيين والغربيين . وقد حذا حذوه البابا لاون الثالث عشر فنجده ما اقتدر من آثار هذه المرابع العلمية وزاد عديدها فاصبحت روية العظمى واسطة عقد العلم كما هي قاعدة الدين

٣) جاء في رسالة للاب خريستوفور رودريكس كتبها من القاهرة بتاريخ ٧ نيسان ١٥٦٢ ان البطريرك غبريال السابع حازم على ارسال اثنين من رهبانهِ ليقيما في الكنيسة التي انعم بها عليهم قداسة الحبر الاعظم (اطلب مجموعنا Documents inédits, T. I, صفحة ٣٨٤) ولم نجد تفاصيل عن هذا الشأن . ونرتأي ان الامر لم يخرج الى حيز العمل لان الاقباط رفضوا الايمان الكاثوليكي . وقد حظي الاقباط برغوبهم في الربع الاوّل من القرن الثامن عشر

وبالاكثر المجمع الخلقيدوني يكون ذلك بالعربي (١ ويختم لنا كتب التيقة والحديثة بلسان المصريين لاجل ما تقصل بهم القدّاس (٢ واذا كتب لنا مكاتبات فيقول فيها بطريرك مدينة الاسكندريّة لا غير لانّ الرسول بولس كتب للقرنثانيين يقول من هو كافا ومن هو اقلو بل نحن للمسيح ويكفانا ان نعرف بالمسيحيين المصريين (٣ وقد اعلمكم يا اولادي لان تكونوا محبين طائعين الولد المبارك جرينموا وتكونوا معهُ كالاخوان فانهُ تعب معنا في هذه المصلحة التعب الزائد (٤ السيد المسيح يعوضهُ في الملكوت عوض ذلك. وعلمكم ايضاً يا اولادي المباركين ان تكونوا عوضنا وعوض شعبنا تتكلّموا من فمكم كأنهُ من فمنا بان تسألوا قدس البابا بان ينعم ويتفضل بكتابة مكتوب لسلطان الفرانسة وكراندوكا دي فرنسا (٥ وجميع البلاد الذين يجي منها التجار لارض مصر (٦ بان يخلو سيمرن (٧ تتصل في ارض مصر كون فيه الرحمة والصدقة على طائفتنا وقاضي مصالحنا وبالاكثر انهُ في خدمة البابا ومصالحهِ بما يجب وليس عندهُ

١) لا نعرف من هذه الكتب العربية مطبوعاً في ذلك العهد سوى كتاب الاناجيل المقدسة (المشرق ٣ : ٨١) اما المجمع الخلقيدوني فقد طبع باللغة العربية برومية سنة ١٦٩٦ لفائدة ٥ طائفة القبط المكرّمين وطوائف الملبش الموقرين وغيرهم مَن الطوائف الشرقيين المغرورين ٥٠ . نقلهُ الى العربية عن نسخة المجمع الاصلية المحفوظة في خزائن كتب مار بطرس الأب فرنسيس ماريًا الفرنسيسي من مدينة سالم وقدمه الى ابينا يوحنا بطريرك الأسكندرية والى الاكليروس والشعب القبطي والحبشي. وقد فحصهُ القس داود دي سان شارل الكرملياني (الطلب Documents inédits, T. I, ١١٩ و١٢٠ و٤٥٨) والقس بطرس مبارك الراهب الماروني وكيل بطريرك الموارنة وذلك سنة ١٦٩٢

٢) على مثال كتاب القدّاس الذي طبع برومية لفائدة الموارنة واحضر الاب دنديني اربعة صناديق مملوءة منهُ وذلك في السنة السابقة لتاريخ هذه الرسالة

٣) لعلهُ يريد ان يختص بهِ اسم بطريرك الاسكندرية بمنزل من الملكيين فلا يزاد ٥ من طائفة الاقباط ٥ كما جاء في رسائل الاحبار الرومانيين Patriarchæ Alexandrino, nationis Cophtorum (الطلب مجموعها Documents inédits, T. I صفحة ٢٢٤)

٤) جيرونيمو او جيرولامو فاكياتي Girolamo Vecchietti (الطلب المشرق ٧ : ٨٥٧ و٩٠٠) ولا تخلط بينهُ وبين اخيهِ يوحنا باطيستا الذي جاء ذكرهُ في صورة الايمان (المشرق ٧ : ٩٠١) وكلاهما ستنشر لهما آثارًا مفيدة

٥) Grand Duc de Florence او فيورنسه

٦) اخصها فرنسة وانكلترة وصقلية وجينوا وفلورنسة وهولندة وبلجيكا

٧) وبما كان يُنازَع على القنصلية كما توزع باولو ماروفاي بسبي فانتو Vento فكان خلافهما سبباً لشرّ الويلات على المرسلين الفرنسيسكان واليسوعيين سنة ١٥٨٥

فئة. وقد رسمت وامرت الولد المبارك الكاهن المؤتمن الراهب الناسك القمص غبريال (والقس غبريال) (١ وكذلك الارشي دياقن برسوم بان يتقدموا ويخدموا السراير المقدسة الجسد الطاهر والدم الذكي بخوف ورعدة وخشية من الله على جاري عادتنا الجارية بالكنيسة الاسكندرانية من غير زيادة ولا نقص ويكون ذلك فوق اجساد القديسين ماري بطرس ويولس باسمي انا الحقير غبريال الخادم بنعمة الله تعالى كرسي مار مرقص الانجيلي. فالاولاد المباركين المشار اليهم اعلاه يتمسدوا ذلك ويحفظوهُ في قلوبهم ولا يخالفوه ولا يحيدوا عنهُ لا يمين ولا ايسار. وقد نسأل السيد المسيح صاحب كنوز الرحمة والنعمة الذي ارسل ملاكهُ رفائيل عاضد طوبيت في طريقهِ يكون معكما ويدبر أموركما في المضي والعودة وانتم سالمين طاهرين النفس والجسد وتكونوا مباركين من فم الثالوث المقدس الآب والابن والروح القدس الواحد في الذاتيَّة ومن فم آبائنا الرسل القديسين الاطهار الحواريين الابرار ومن فم خلفائهم السادة البطاركة والاساقفة والكهنة ومن فمي انا الحقير غبريال السابع والتسعين في عدد البطاركة الخادم بنعمة الله الشعب المسيحي بمدينة الله الاسكندريَّة ومصر والحبشة وما معهم من المدن والضياع والقرى بطلبات وشفاعات معدن الطهر والبركات الست السيدة العذرى الطاهرة مرتريم (٢ وسائر طغوس الملائكة والآباء والانبياء وآبائنا الرسل والشهداء والقديسين والسواح والمجاهدين وسائر من أرضى الرب ويرضيهِ باعمالهِ الصالحة الآن وكل اوان والى دهر الداهرين. وسلام الرب يحلّ عليكما والنعمة والبركة والتحليل والغفران يكونا لكما. آمين والشكر لله دائمًا ابدًا كتب يوم الثلاث المبارك تاسع شهر ٠٠ (٣

١) على الهامش

٢) السبدة مرم وهو تركيب سرياني محض لكنهُ جرى على السنة سائر الطوائف كالاقباط والروم الملكيين (المشرق ٧: ٨٥٧) وشهادة بطريرك الاقباط ساروس في ٥ مسري سنة ١٣٨٨ قبطية (١٦٧١ ميلادية) وفي ١٨ هاتور ١٣٨٨ (المشرق ٦: ٥٠٦ و٥٠٩) ورسالة البطريرك الملكي مكاريوس الى ملك فرنسة في ١٥ شباط ١٦٦٣ (المشرق ٦: ٥٠١)

٣) قد مُزّق طرف الرسالة لكن الموضوع والمقابلة بين هذه المذكرة وبين الرسائل التي نشرناها يسهل تتميم التاريخ كما جاء في المشرق (٧: ٨٥٧) اي ٥٠٠ شهر طوبة سنة الف وثمانية وثلاث عشرة للشهداء الاطهار وفقنا الله تعالى بركتهم وذلك كان بالوجه القبلي بمدينة ابنوب. ولله الشكر امين

انطوان وكليوباطرة (١

نقل للاب ر. موترد اليسوعي

ولّى الرومان عليهم في اواسط القرن الاوّل قبل المسيح ثلاثة حكّام وبعد عشر سنوات اذعنوا الى كلمة حاكم واحد دُعي حاهلًا او بالأحرى مقدماً وبقي الامر على هذا المنوال منذ عهد اغوسطوس. فدبّ روح الطمع في صدر اثنين من أولئك الولاة وهما أكتافيوس الذي تبنّاه يوليوس قيصر وانطوان القائد ذاك الذي اباح له قيصر بغوامض اسراره. فنشأت بين الاثنين مغايرة سالت لها الدماء كالانهار. وقد وضع في ايامنا هذه العالم ج. فيريرو في المجلّد الرابع من مؤلّفه « في عظمة وانحطاط رومة » بحثاً ضمّنهُ اخبار تلك المشاحنة ودعاهُ « بتاريخ انطوان وكليوباطرة ». فمن عنوانهِ يُستدلّ ما كان للشرق عموماً وامصر وملكتها خاصّةً من اليد في الامور التي جرت من عام ٤١ الى عام ٣١ قبل المسيح. واما العالم فيريرو فانهُ درس التاريخ درس رجل عالم بالابحاث الاقتصاديّة ومطّلع على ما ينتاب الانسان والامم من الاهواء والتقلّبات. ولهذا أتى بحثهُ جامعاً لشتات الفوائد مناقضاً في بعض فصولهِ لما كنّا نظنهُ الى الآن عين الحق. فرأينا والحالة هذه ان نتحف القرّاء بخلاصة ابحاثهِ في هذا الصدد

قال في الصفحة السادسة من كتابهِ: كانت مصر في مقدّمة العالم اقتصاداً وعلماً زاهرةً بالزراعة حافلةً بالصنائع كثيرة الاتجار. شُيّدت فيها المدارس الشهيرة وأُتقنت فيها الفنون ولقد خصّها الله بالخصب وعُرف سكّانها بالجدّ فاعملوا فيها ايدي المهارة. فمنها كان يؤخذ كتّان أشرعة جميع السفن الفاخرة عباب البحار وكانت غلّاتها تقوم بعوز اهلها وبحاجات الامم المجاورة لها. وما من شعب على شواطئ البحر المتوسط جارى المصريين في الصناعة فاشتهر الاسكندريّون بحياكة الانسجة الثمينة وبتركيب الطيوب وصبّ

---

١) G. FERRERO: Grandeur et décadence de Rome. — IV. Antoine et Cléopatre. Traduit de l'italien par M. U. Mengin. — *Paris, Plon - Nourrit et* C^ie^. 3^e^ édition, 1906.

الزجاج وصقل البردي . وانا لنضرب صفحاً عن اشياء كثيرة كان التجار يذهبون بها الى كل صوب ويبيعونها فتدر عليهم بالارباح . وجمعت مدارسها انواع العلوم فأمها الطلبة من كل فج حتى من البلاد اليونانية للاطلاع على اسرار الطب والفلك والبيان وكانت تلك المعاهد العلمية انائذٍ على نفقة الحكومة . ولم تكتفِ مصر ببيع ما يخرج من معاملها الصناعية وباستجلاب الذهب والفضة والنحاس وغيره من المعادن بل انها استأثرت بمعظم تجارة الهند والشرق الاقصى

ولكن لكل امرٍ آفة وآفة مصر إذ ذاك كانت حالتها السياسية والاجتماعية فان الانانية تسربت بين طبقات الشعب وضربت على كل عاطفة شريفة فاصبح اهل البلاد لا نزاهة عندهم ولا كلمة تجمعهم الى ما فيه الخير العام ولم يكن ارباب الامور باعظم دراية واشد انفة من غيرهم فما كانوا يثبتون على رأيٍ ولا يهمون إلا بالدينار وكل ما سواهُ ينبذونهُ ظهرياً فاضحوا ولا جيش يحميهم من سورة الاجانب ويكون لهم نصيراً اذا ما شُنَّت عليهم الغارات . كثرت اذ ذاك رجال العلوم والعقول في مصر ولكنهم لم يعتدوا الخناصر على القيام بوجه رومة بل حاولوا ردها على الاعقاب بالدسائس والمكائد الخفية حينما كانت المناضلة عن حقوقهم فرضاً لهم لازماً لان مصر في تلك الايام كانت المملكة الوحيدة التي لم تكن امتدت اليها ايدي الرومانيين انما غناها وفراغ خزينتهم لستلفتا اليها انظار العداة فلا غروَ انها تصبح عن قريبٍ فريسة طمعهم

ولم تفت هذه الامور ادراك الملكة كليوباطرة فعزمت على ابرام محالفة مع رومة وذلك باقترانها بيوليوس قيصر انما مساعيها ذهبت ادراج الرياح فانحازت الى القائد انطوان ورغبت بان تكون زوجةً له ظناً منها انهُ اذا ما قام معها انطوان بعبء المُلك قامت جيوش رومة بالدفاع عن مصر وبقيت البلاد على استقلالها وصارت على أمن من غوائل الدهر . فأجاب القائد الى رغبة الملكة . الا انهُ لم يتم الامر على ما عهدناهُ الى الآن تبعاً لرواية المؤرخين . فقد اثبت ج . فيريرو ان انطوان تردد حيناً قبل الاقدام على هذا العمل الخطير لعلمه ان أمتهُ وجيوشهُ سينظرون الى هذا الزواج بعين الاستياء ويعدونهُ خيانةً وحماقةً . غير ان الحاجة الجأتهُ الا يحفل بهذه الوساوس لانهُ كان صفر اليدين من الدراهم ولم يبقَ له ولا لمن شاطرهُ السلطة ادنى

مهابة لدى القاصي والداني ولهذا عزم الولاة الثلاثة على فتح بلاد الغرس لاسترجاع سطوتهم واستدرارًا للاموال. وكان يوليوس قيصر سبق فأشار الى هذه الوسيلة ووضع خطةً للحرب ذكر فيها مفصلًا عدد كتائب الجيش والطرق التي تمرّ عليها جحافل رومة. فلا جرم ان خطةً كهذه رسمها اعظم قائد تلك العصور كانت ضامنةً وثيقًا للنجاح. انما القيام بها يستغرق مبالغ طائلة لاعداد المؤن وتهيئة عُدَد الحرب ووظائف الجنود وكلّ ذلك تكفّلت به الملكة كليوباطرة على شرط ان يتخذها انطوان زوجةً له

ولم يمكث انطوان في مصر إلّا الزمن اليسير ثمّ رحل عنها متنيًا ثلاث سنوات وذلك لردّ غارات الغرس لانهم زحفوا من مدينة كتيزيفون أبان فصل ربيع عام ٤٠ قبل المسيح واستولوا على سوريّة وفلسطين وقيليقية وفينيقية ما عدا صور. وفي تلك الأيام اجتمع مرّتين مع قوّاد جيوش رومة واتفق معهم على القيام ببعض مهامّ حربيّة. وعند منتهى السنة عينها تقاسم واكتافيوس العالم الرومانيّ فاشارت عليه كليوباطرة ان يؤثر اقطار الشرق الغنيّة ويترك لقرنه ايطاليا وما يجاورها من الامصار الاوربيّة. وبعدما استولى على أورشليم وسلّمها لهيرودوس سنة ٣٧ قبل المسيح تأهّب للزحف على الاعداء. ولكنّهُ سافر فجأةً الى جزيرة كورفو وما كاد يطأ ارضها حتى ارسل زوجتهُ اكتافية اخت اكتافيوس واولادها الى رومة واوعز الى احد اصدقائه ان يذهب الى كليوباطرة ويدعوها للاقائه الى سوريّة فتمّ الامر على رغبته. وفي غزّة عام ٣٦ أقيمت الافراح في مدينة انطاكية وعُقد للقائد الروماني على ملكة مصر. فأهدى انطوان لزوجته جزيرة قبرس وبعض سواحل فينيقية ومغارس نخل اريحا واقطعها عدّة غابات في جزيرة كريت وبلاد قيليقية. واما كليوباطرة فانّها فتحت امامهُ خزائن مصر ليأخذ منها ما يقوم بنفقات الحرب. وجرت حفلة الزواج على مقتضى عادات ملوك مصر غير ان انطوان حافظ ابدًا على لقبه فعُرف دائمًا بالوالي الروماني. ولم يتظاهر امام شعبه حتى في تلك الأيام انّهُ طلّق اكتافية واقترن بامرأة اجنبية. وخلاصة القول ان انطوان وكليوباطرة عقدا هذا الزواج لغايات شخصيّة واضمر كلٌّ منهما ان يستخدم الآخر لبلوغ اربه دون ان يقابلهُ بنفع يُذكر

زحف انطوان في مائة الف جنديّ وذلك في شهر حزيران سنة ٣٦ قبل المسيح وعسكر على مقربة من مدينة لوزوم ثمّ دارت رحى الحرب بينهُ وبين قاطني البلاد

احلاف الترس فخامت فرسان الاعداء عن الايقاع به لوعورة الطرق وكثرة الجبال . فلمَّا هبط الجيش الى السهول وحاصر القائد مدينة فراسيه قامت العقبات بوجهه واستولى العدوّ على ما كان عنده من آلات الحرب واما هو فانهُ عجز عن اخذ المدينة عنوةً لكنَّهُ حفظ جنوده سالمين ورجع بهم القهقرى مسافة ٥٠٠ كيلومتر

فبذلت كليوباطرة جهدها لتجني ثمرة حبوط زوجها لانها علمت حقّ العلم انهُ لو كان فاز بالغلبة على الفرس ودوَّخ بلادهم لأعرض عن محالفة مصر . فرأت اذن ان لا بدَّ من اعمال الفكرة لابعاد خطر كهذا في المستقبل ولصدّ القائد عن الرجوع الى محاربة الاعداء ولصرف همَّته الى اقامة مملكة مصريَّة عظيمة الشأن رفيعة الكلمة معزَّزة لا تنالها يد ولا تتناسبها القوائل . فاخذت تزيّن لهُ فتح بلاد ارمينية وتحضُّهُ عليه لما يكون وراءهُ من الفوائد فاذعن لمشورتها وخرج بجيشه في ربيع سنة ٣٥ فكان النصر اليفهُ . ولدى رجوعه الى الاسكندريَّة أُقيمت الاعياد احتفاء به واجلالًا لهُ وخُتمت بحفلة انست كلَّ ما تقدَّمها . فنُصبت لانطوان ولكليوباطرة واولادهما اريكة من الفضة على مرأى من الشعب فلمَّا ارتقاها نادى بكليوباطرة وقيصريون ابنها وابن يوليوس قيصر ملكي الملوك ثمَّ قسم بينهما وبين اولاده الثلاثة الذين رُزقهم من كليوباطرة مملكة الاسكندر وبعض الاقاليم الرومانيَّة . فأتى الامر مجحفًا بحقوق رومة ومناقضًا لعظمة سلطانها ومع ذلك لم يزل القائد مثابرًا على خطَّته البديعة فكان يكتب الى مجلس أُمته ويتظاهر انهُ احد ولاة الرومانيين . ولم يجاهر بطلاقه لاكتافية بل كان يُوهم انهُ يشاطر كليوباطرة السلطة العامَّة لا غير وهو يثق بمصادقة بني جلدته على ما اقطع لكليوباطرة واولادها عادًّا كلَّ ذلك كنظام جديد لاقاليم الشرق

فلا عجب اذا كانت هذه الحوادث اقلقت خواطر شعب ايطالية . ولهذا نهض حينئذٍ اكتافيوس وصمَّم العزم على مناجزة قرنه لانهُ اذا ما استولى انطوان على مملكة الفرس واضاف تحتها واموالها الى ما جمعهُ من الذهب والفضَّة في مصر وارمينية اصبح استقلال رومة في خطر مبين . وكان اكتافيوس فيما سبق منهمكًا باللذاذ غير ان هول المقام انهضهُ من رقدته وحوَّلهُ حزمًا لم يكن يعهدهُ من نفسه فانتصب مدافعًا عن حقوق البلاد وصوَّب سهم الملامة على اعمال خصمه وآلى ألَّا يدع حرمة الشرائع تُنتهك ويلحق مجد الشعب الروماني مثالبة ما وسأل اخيرًا مجلس الشيوخ ان يعطيهُ قسمًا من مصر لانهُ على زعمه

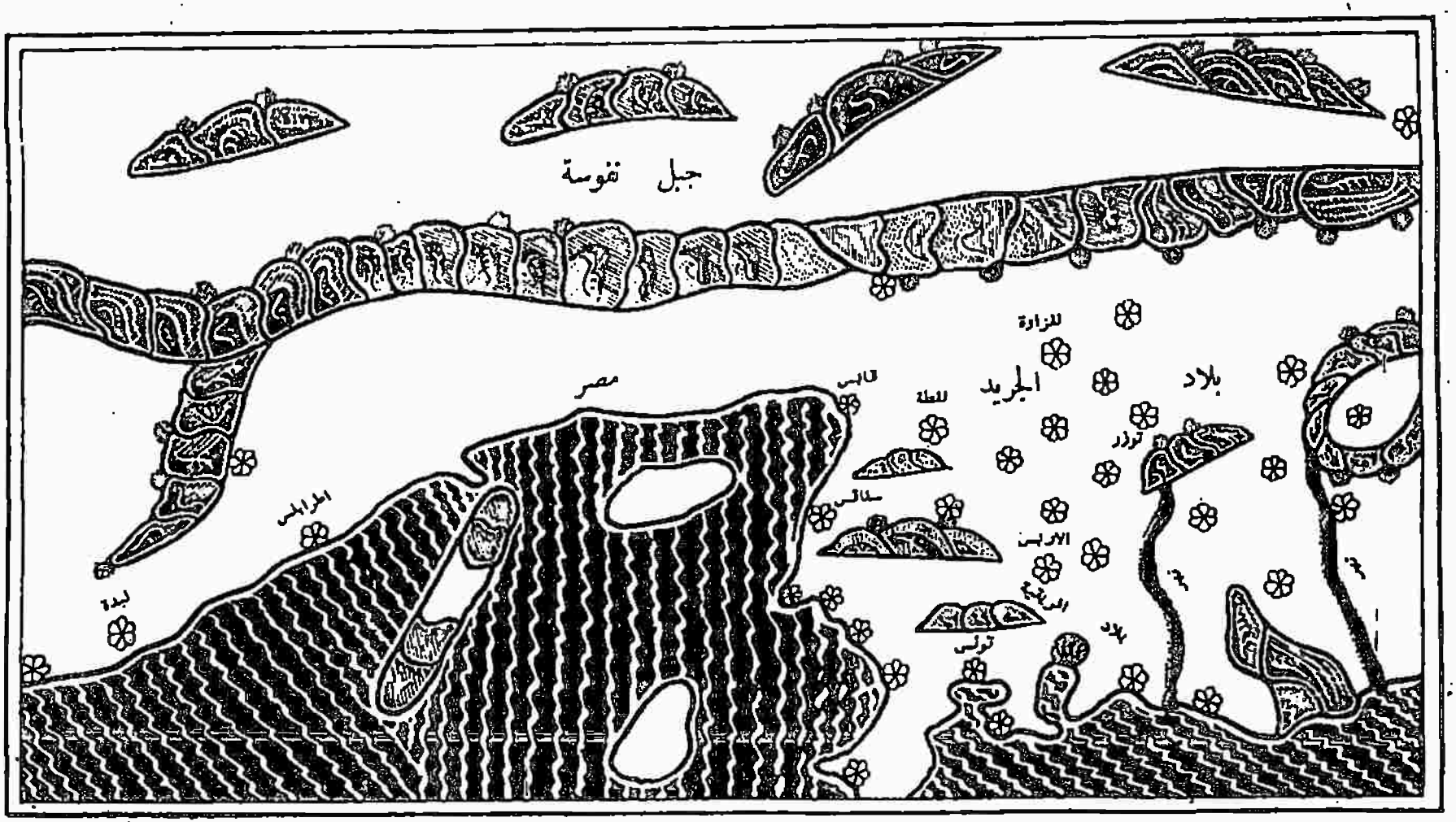

خريطة للشريف الادريسيّ

اصبحت تقليداً رومانياً. فعضده الرأي العام عازياً الى كليوباطرة النيَّة بالاستيلاء على ايطالية وروما

فحاولت ملكة مصر جهدَ الاستطاعة في سبيل الدفاع عن بلادها ولذا امرت بجمع الاقوات والشباب وباحضار عدَّة الحرب ثمَّ اخذت من الخزينة عشرين الف مثقال وهو مبلغ يوازي في أيامنا نحو مئة مليون من الفرنكات وركبت متن البحر وذهبت بلسطول ضمَّ مئتي سفينة ولحقت بزوجها المقيم اوانئذٍ في مدينة افسوس وكان ذلك في اواخر سنة ٣٣ قبل المسيح

وكان عامل السلم وعامل الحرب يتنازعان القائد انطوان لان كثيرين من اصحابه خرجوا من رومة واسرعوا لملاقاته وكلهم رغبة بالصلح وسكينة البلاد انَّما خافت كليوباطرة ان يتحوَّل الوئام بين الخصمين الى وقرٍ ثقيل عليها فصرفت جلَّ العناية لتحمل زوجها على ان يجاهر بطلاقه لاكتافية فافلحت. وكان انطوان إذ ذاك يفكر في امر المدافعة عن اقاليمه ففرَّق جنوده في عدد عديد من الامصار ولم يجمعها جيشاً عرمرماً يسير به لمصادمة كتائب قرنه ولدى مفاجأة اكتافيوس له تحصَّن في معسكره بأكسيوم وفي تلك الاثناء علمت كليوباطرة أنَّهُ اذا ما نال زوجها اكليل الظفر فسيؤمّ مدينة رومة لاصلاح الخلل وارجاع الامن بين الشعب وتوطيد دعائم السلم في المملكة وبذلك يكون خراب مصر فاقنعته بالاياب معها الى الاسكندريَّة دون ان يناجز خصمهُ القتال إلَّا في البحر فتكون المعركة بين الاسطولين كستر يحجب هربها. غير ان بعض اماثل الرومانيين من اصحاب انطوان اطَّلعوا على هذا القصد فقاوموهُ وادَّى بهم الامر الى مخاصمات عنيفة مع كليوباطرة حتى انَّ القائد خاف ان الملكة تغضب عليه فتسلمهُ. ولمَّا اشتبكت المعركة بين الاسطولين هبَّت ريح شماليَّة والحال اقلعت كليوباطرة بسفنها ومرَّت بجرأة بين مراكب المتقاتلين وتوجَّهت نحو بلاد البيليونز وعندئذٍ ركب انطوان مركباً ذا خمسة صفوف من المجاذيف ولحق بها

وتردَّد اكتافيوس في شأن مطاردته وبذلك خوَّلهُ وقتاً ثميناً ليتأهَّب به للدفاع لكنَّ انطوان لم يثبت على خطَّة واحدة بل كان يُبطل اليوم ما امر به الامس. ولما اقترب اكتافيوس بجيشه من الاسكندريَّة اخذت كليوباطرة تملل النفس بحفظ مصر تحت سلطتها اذا ما خانت زوجها واسلمتهُ الى عدوّه اما هو فانهُ يئس الحياة وانتحر. وبعد

ايام قلائل تحققت الملكة ان اكتافيوس سيأخذها اسيرةً ويعرضها يوم ولوجه رومة لمرأى الشعب وسخريته فآثرت الموت على الذل. فوجدها اعوانها يوماً مضجعةً على سرير ثمين وقد تزينت بحلاها ولبست أفخر ثيابها وهي جثة بلا حراك وعن يمينها غلام قد قضى نحبهُ ومن يسارها غلام ثانٍ في آخر رمق من الحياة

وضمَّ اكتافيوس مصر الى اقاليم رومة ولكنهُ تحاشى كلَّما يذلل كبر المصريين فتظاهر انهُ الملك الجديد على البلاد والخلف الشرعيّ لسلالةٍ قد انقرضت . واقام نائباً عنهُ ليحكم بين الشعب وامرهُ ان يتخلق ما استطاع باخلاق من يدير شؤونهم . لكنَّها نزلت بثروة مصر نازلة كادت تودي بها فغرَّم كلّ فرد من السكَّان سُدس مالهِ وأكرهَ الاغنياء على دفع مبالغ عظيمة وأخذت آنية الذهب والفضَّة المحفوظة في المتاحف وضُربت نقوداً وقبض اكتافيوس على خزائن ملوك مصر واقتسمها مع اصحابهِ واعوانهِ ثمَّ أقل راجعاً الى رومة وسكتت الارض امامهُ . فسبحان من يدوم ملكهُ لا إله سواهُ

المَرْيَمانيَّة أو البَرْبرانيَّة

لحضرة الاب انستاس الكرمليّ

١ تمهيد

اذا نكَّب المرء عن جوادّ الحق الرَّحبات . اخذ للحال في وادي جَدَبات . او رَقي من فوره نَقبًا كُلُّهُ عَقَبات . وهيهات يصل الى ما يقصدهُ من الغاية المطلوبة والف مرَّة هيهات . ولاسيَّما اذا كان يصل السَّير بالسُّرى في مثل هذه المهايع الكاذبة . بعيدًا عن الطُّرُق اللاحبة

فلقد نشأ في حجر النصرانية بدع مختلفة متباعدة بعضها عن بعض او متدانية بعضها من بعض . في انحاء شتى من اقطار الارض . فتضاربت وتحاربت في ما بينها . فضعُفَ شيئها فقوَّى ذلك زَيْنَها . ومات منها ما مات . وبقي منها الصحيح او ما لشبههُ ببعض الصفات . امَّا ما كان منهُ بعيدًا عن الحقّ . بُعْدَ الرتق عن الفتق . فقد زال وانقرض . ولم يبقَ منهُ أثر جوهر او عَرَض . ومما يدخل هذا الباب بدعةٌ عبدت مريم العذراء عبادة

تقرب من عبادة ربّ الارباب . كأنهـا تذكرت كلاماً منسوباً الى القديس ديونيس الاريوفاجي القائل : « ان العذراء حسناء اي حسن حتى انهُ يبهر العيون . ولولا علمي ان الله واحد لعبدتُ العذراء عبادة إلهٍ السماء » فاصلحت هذا الكلام بان ادّت للعذراء عبادة حقيقيّة وقرّبت القرابين لها . سامحهم الله على هذه الجريرة الكبيرة الصادرة عن جهل اكثر من ان تكون صادرة عن فكر او بصيرة . ولاسيّما اذا علمنا ان القائلين بهذه المقـالة هم من اعراب البادية لا غير

٢ اسمهم ومعتقدهم

قد اختلفت الرواية في تسميتهم ومهما اختلفت فلا تبعـد عن الصحة ابدًا . فمنهم من سمّاهم المَرْيَمونية نسبة الى مَرْيَمون تصغير تحبيب او تعظيم لاسم مريم على الطريقة الإرَمِيَّة . وممَّن ذكرهم بهذه اللفظـة صليبا بن يوحنّا القسيس الموصلي في كتابهِ « رسالة البرهان والارشاد . الى المحبة ثمرة الدين والاعتقاد » أو كتاب إسفار الأسرار (راجع المشرق ٧ : ٥٨٦ و٩٨٥) في ص ١٨٣ من نسختنا وهذا نصّ كلامهِ :

« المريمونية (١ هؤلاء كانوا قوماً يعتقدون في مريم انها إله ولدت المسيح الذي هو إلهٌ حقّ من إلهٍ حقّ ابن جوهر ابيهِ وابن جوهر أُمهِ الذي كان ظهورهُ للعالم بالولادة منها بجملة كليتهِ

« واحتجوا على ذلك وقالوا : انما كان ابن الإله إلهًا لانهُ من جوهر والدهِ . واذا كان ذلك كذلك فغيرُ إلهٍ لا يَلِدُ الهًا لو كنتم تفهمون . واهل هـذا الرأي كان لهم في كل سنة يوم معروف يجتمعون فيهِ ويقيمون الصلاة ويتخذون قُرْصَةً واحدةً من خبز السميذ الفائق البياض ويقدمونها قربانًا على اسم السيدة مريم . اه »

وقد سمّاهم البعض « المَرْيَمانيَّة » نسبة الى مَرْيَم على الطريقة الإرَمية . وهي لغة مقبولة . وقد ذكرها بهـذه الصورة ابن تيمية في ردّهِ على النصارى المسمّى « بالجواب الصحيح » ٣ : ١٠٤ إذ يقول : « . . . فمنهم من يقول المسيح وامهُ الهان من دون الله وهم المرْيَمانيُّون ويسمّون المرْيَمانية »

---

١) وفي حاشية كتابنا : ويروى في أغلب النسخ : المزبونية او المريونيـة . قلت : والاصح الرواية الاولى لان هاتين الروايتين بيّنتا التحريف القبيح المرغوب عنهُ

وسمّاهم آخرون « الريعة » نسبة عربية الى مريم منهم سعيد بن بطريق (في ص ١٢٦ من تاريخهِ المطبوع حديثًا)

وسمّاهم آخرون « بَرْبَرَانية » وهي لفظة اطلقها عليهم الارميون . ومعنى اللفظة « أبناء البرّ » كأنّ هذه البدعة خاصة باعراب البادية فهو مثل قولك : « بدعة الأعراب » وقد سمّاهم كذلك ابن بطريق في تاريخهِ المذكور ص ١٢٦ إذ يقول : « فمنهم كان يقول : ان المسيح وأمهُ الهان من دون الله وهم البَرْبَرَانيّة ويُسمّون المريعين » وكذلك سماهم ابن تيميّة ايضًا في عدّة مواطن من كتابهِ (راجع ٢ : ٣١١ مثلًا) . وقد اعجم هذا الحرف بعضهم فذكرهُ بصورة « بَرْبَزَانيّة وبَزْبَزَانيّة وبَزْبَرَانيّة . وكلها تصحيفات قبيحة » والاصحّ براءين مهملتين

واما علماء الافرنج فسمّوهم (Collyridiens) (١ والكلمة مأخوذة من (collyrium) اللاتينية المنقولة عن اليونانيّة κολλύριον من κόλλυρα اي عجين او قُرْصة (ومنهُ عند العرب اسم القِلّار او القِلّاريّ لضرب من التين قوام داخلهِ قوامُ العجين ويبقى كذلك اذا رُبّي برُبّ عقيد العنب . راجع التاج في ق ل ر)

وقد وصفهم الاب يوسف لبّان بقولهِ : « انتحلت بعض قبائل العرب الديانة النصرانيّة فاكرمت مريم اعظم الاكرام . ومذ عهد القديس ابيفانس كانوا يقدّمون لها قرابين هي قُرَص من سميذ وعسل . إلّا ان الاسقف القديس أفهمهم ان القرابين والذبائح لا تقدّم إلّا لله وحدهُ

« هذا وكان القصّاصون من الأعراب يجلسون في فيء النخل فيقصّون على سامعيهم أشهر حوادث سيرة العذراء القديسة صابغين تلك الوقائع بلون هذا الصبغ

(١ وقد سمّاهم بهذا الاسم الاعجمي اي قلوريّين ثاودوروس برخوني في كتابهِ المسمّون « بالاسكوليون » قال : القلوريّون — هؤلاء يقربون في يوم واحد من كل سنة قلورة (قُرْصة) باسم مريم ومن أجل هذه السنّة سمّوا قلوريين . وسمّاهم ثاودوريطوس دادوئيين (Δαδοῆται) وسيابيين (Σαββαῖοι) ودلنيين او متآخين (ἀδελφιανοί) وعربيين ἑλληνικῶς (كلمة ἑλληνικῶς توافق العربيّة عَرَمَةٌ بجميع معانيها تقريبًا . ولا جرم ان العربيّة مأخوذة من اليونانيّة لان ليس في الاصل العربي معنى يتركب عليهِ هذا المعنى الفرعيّ . بخلاف اليونانيّة فان « عرم » معناه : سَنَدَ وقوّى وابّت الخ) وسيمونيين (Σιμωνιανοί) . راجع تاريخنا الكنسيّ الكتاب الرابع الفصل العاشر

صنع العجيب الذي يجب ابناء اسماعيل كل العجب » . اه

اما نتفة اخبار هذه الفرقة : فانها نشأت في بلاد العرب في المائة الرابعة للميلاد وكانت النساء كواهن هذه النحلة . وكان لهنَّ عجلة فيها كرسيّ مربَّع عليه كسفة ثوب وبعد ان يُقدَّمن القربان كانت النساء الحاضرات تتقاسمنهُ بينهن . وقد ازال هذه البدعة الفديس ابيفانس المنوَّه عنهُ سابقًا . بعد ان اثبت لهم ان القرابين لا تُقرَّب الَّا لله وحدهُ وان الكهنة لا يكونون الَّا رجالًا . فعفا بذلك اثرها . وانقطع عنَّا خبرها . وربُّك الباقي انهُ الازلي الابدي

٣ المعادون لمريم

ومما يجدر اثباتهُ هنا « والضدُّ بالضدِّ يذكر » فرقة تُهين العذراء كل الاهانة وتنزع منها عُنوان فخرها . وتميّز فضلها وقدرها . وهي فرقة تقول بان مريم وَلَدَت اولادًا آخرين غير يسوع . ورأس هذه الشيعة الممقوتة الملعونة « هَلْفيديوس » وقد سند ضلالهُ على الانجيل الشريف الذي يذكر اخوة ليسوع الذين ما هم على الحقيقة إلَّا اولاد خالتهِ على اصطلاح الشرقيين الذين يجيزون هذا التعبير . كيف لا وهم يطلقون الاخ على كل مشارك لغيره في القبيلة او في النسب او في الدين او في الصنعة او في معاملة او في مودة او في غير ذلك من المناسبات . فيقال : للشرّ اخو الخير وللفقير اخو عيلة وللنوم اخو الموت وللكثير السفر اخو سفار وللذليل اخو الخنَع من الخُنوع وهو الذلَّة . الخ . الخ

وقد كتب هذا الخبيث سفرًا قائمًا برأيه يثبت فيهِ كفرهُ اي ان مريم غير عذراء ولهذا سُمّي من شايعهُ الهَلْفيديون او المعادون لمريم او المخالفون (١ لبتولية مريم وبالفرنسية

(antidicomarianites, adversaires de l'honneur de Marie, anti-Mariens *ou* Helvidiens)

وهذه البدعة لم تَعْنَ زمانًا طويلًا بل ماتت وهي طفل في مهدها الذي اصبح لحدًا لها بجاه تلك الام الوالدة البتول والدائمة البتولية

(١ وسمَّاهم ثاودروس المذكور في كتابهِ باسمهم الاعجمي اذ قال : « الأنطيديقُومريقيطا » ومعنى اسمهم المعادون لمريم يزعمون ان مريم بعد ولادة مخلصنا لم تبقَ عذراء بل طاشت مع يوسف وولدت منهُ بنين وبنات ويزعمون ايضًا ان يعقوب ويوسى وهما الابنان اللذان رُزقهما يوسف من زوجتهِ الاولى (على زعم البعض . اطلب المشرق ٣ : ٢٨٠ ، ٤١٢) كانا ابني مريم . اه

مثال البرّ

للاب لويس فؤاد اليسوعي

— ابتِ اخاف ان يؤول الامر الى ما لا تُحمد عقباه

— اركن الى قولي بني وسكّن روعك فاني اختبرت المصل

— قد يختلف المفعول احيانًا مع اختلاف الدماء المؤثر فيها المصل · تدبّر في الامر اصلحك الله والدي

هذا ما كنت تسمعهُ من عربة تسير الهوينا على طريق فرساي يركبها شيخ جليل يقال لهُ الدكتور شميت من اساتذة المكتب الطبي بباريس وعلى يسارهِ وحيده يوسف شابٌّ فتيّ الثوب يستشفّ من خلال قشرته الرقيقة دم زكي يغلي حبًّا لله ولابيهِ العزيز

وكان الدكتور يحبّ ولدهُ حبًّا عظيمًا ويعطف عليهِ لان أم يوسف توفيت وهو في نعومة اظفارهِ · فاحسن ابوهُ تربيته ولم يكفّ عن تكرار النصيحة عليهِ ويحرّضهُ على اقتباس المعارف والتشبُّث بمحامد الاخلاق حتى نشأ يوسف وشبَّ وهو يتشرَّب من تعاليم والدهِ ويقتبس من أمثالهِ الصالحة · ولمَّا أتمَّ دروسه الابتدائية وكان لهُ من العمر ثماني عشرة سنة انتظم في سلك طلبة مدرسة الحقوق ولم يمضِ القليل حتى اصبح زينة اقرانهِ ومحلّ اعجاب كل من سمعهُ واختبر عقله وآدابه

غير ان الدكتور شميت والدهُ لم يكن ممَّن يرضون بجالهم مع ما انعم الله عليهم من جزيل خيراتهِ فكان لا يزال يطلب المزيد في الرفعة والشهرة · وكان قد خصَّص أوقات فراغهِ لتجهيز مصل لم يُذكر من ذي قبل لعلَّهُ ينال بهِ صيتًا يرفعهُ في عيون سائر الاطباء ثمَّ اختبر المصل في الحيوان واتقن نجاح فعلهِ فعزم على ان يعالج بهِ المرضى · لكنَّ ولده يوسف قام يمانعهُ في مشروعهِ ويحثُّهُ على التروي في الامر قبل مباشرتهِ خشيةً من سوء العاقبة فساور الدكتور البلبال وهو لا يدري ما العمل فكان طورًا يذعن لمشورة ابنهِ لئلَّا تأتي الرياح بما لا تشتهيهِ السفن وتارةً ينبذ النصح وراء ظهرهِ مستبشرًا بحسن العاقبة · واتفق اذ ذاك ان تغيَّب يوسف عن باريس لأنَّ الدروس كانت انهكت قواهُ فالزمهُ ابوهُ بالانصراف الى شامخات جبال السويسرة قصد الارتياض بعيدًا عن

ضوضاء المدينة الباريزيّة. واستغنم الدكتور هذه الفرصة ليتمّم مرغوبه فاستتبّ لديه الرأي ان يعالج بالمصل الجديد جاك احد مرضى المستشفى

ولا تثريب على الدكتور شميت في ان يستعمل المصل المذكور حيث جرّبهُ في الحيوان وأثبت لهُ الفحص نجاح المفعول. على أنك كنت تراهُ مرتجفاً منتقع اللون ساعة قبض على المبضع ولمّح المريض بالمصل. ومن ثمّ جعل يتردد على جاك لعيادته ولستطلاقه عن حالته وكان هذا يجيب يوميًا الجواب نفسه « اني أشدّ ضعفاً مما كنت عليه امس ». فتكدّر صفو الدنيا في وجه شميت وكان قد طار الخبر في اطراف العاصمة وتجمّم من تناقُل الافواه به. وما لبث ان أدرجت قضيّة شميت امام أولي الشرع وجازت في قليل من الايام المحاكم على اختلاف طبقاتها من ادناها الى التي تليها حتى انتهت الى المجلس الأعلى فحُكم على الدكتور طبقاً للبند التاسع والثلاثين من لائحة الجنايات بالسجن الاحتياطيّ ريثما يتضح أمر جاك المريض

ولمّا تناقلت الجرائد الحكم القاضي على شميت بالسجن بلغ الامر ابنهُ يوسف وكان إذ ذاك في احدى حدائق برن يقصد النزهة فوقع على وجهه كمن أُصيب بشلل عامّ لا يعي أين هوَ ولا ما حلّ بهِ. فاتى الشرط واحتملوهُ الى المستشفى وجلس الطبيب يجرّعهُ الادوية المنعشة حتى افاق من سباته ففتح عينين واسعتين وحملق ثمّ صاح بصوتٍ أليم « اه يا والدي... والدي... » ثم غاب عن الرشد وهو يئنّ انيناً موجعاً وبينما الطبيب يتفرّس بنظره في الشاب لعلّهُ يقع على ما يهديه الى اسمه رأى يده مطبقة على رقعة فاخذها فاذا هي صحيفة الجريدة النطوية على تفاصيل قضيّة الدكتور شميت ؟ فاتضح لهُ بالمقابلة بين ما قرأهُ وما سمعهُ من يوسف عند اياب حواسّهِ ان الاب الذي تألّم لهُ الشاب هو نفس شميت المنكود الحظ. فتحرّكت ليوسف من قلب الدكتور لوز رحمة وخاف ان تمدّ هذه النكبة قواه وهو ضعيف البنية ولربّما أثّرت فيه الهموم فقصفت غصن شبابه النضر. فاخذ يلاطفهُ و يوطد رجاءهُ في خلاص ابيه حتى رجع الى رشده. وكان يوسف عارفاً بطول باع السيد لوز النطاسي البارع وما هو عليه من السؤدد واليسار فلم يتمالك ان انحنى امامه شاكراً اياه عمّا أظهرهُ نحوه من جزيل المعروف. ولحسن الطالع كان لوز من أعزّ أصحاب شميت حيث تلقيا العلوم الطبيّة تحت سماء واحدة فشقّ عليه ما ألمّ برصيفه واصبح شريكاً ليوسف فيما حلّ فقال لهُ: ان صدق

الاخاء يحثهُ كلّ الحثّ على الاخذ بيده ومساعدته فيتمثلا معاً الدكتور من موقفهِ الخطر

*

صفر القطار وطار حاملاً على جناحيهِ السيّد لور والشاب يوسف فخرق الجوّ وقطع القفار والبراري بسرعة البرق مديراً من برن قاعدة بلاد السويسرة ثمّ ينزلون ثم ديجون الى ان حطّ في باريس بعد ما ينيف عن عشر ساعات مضت على يوسف كأنها لشهر وسار الدكتور لور من وقتهِ الى المستشفى ليعود جاك المريض ويبحث في علّتهِ وطريقة شفائها

هذا ما كان من أمر الشاب يوسف ومُعيته . اما الدكتور شميت فانهُ لما حُكم عليهِ بالسجن الاحتياطي حتى الرأس مذعناً للامر القاضي عليهِ وانصرف الى السجن وهو يعثر باذيال الخيبة . فلمّا اقبل يضرب ببصرهِ في اطراف محبسهِ امتلأ قلبهُ مرارة على مرارتهِ وانهلّت العبرات من مآقيهِ كالوابل الهاطل وهو يقول: « ما اطمع قلبك يا ابن الانسان : لو كنتُ اكتفيتُ بنصيبي من العيش واذعنت لنصح ولدي لما بتّ الليلة بين جدراني هذه الغرفة المظلمة »

وبينا كانت تساورهُ اقبح صوَر القنوط واليأس جاءهُ السجّان ودفع اليهِ صحيفة عرف الدكتور من خط عنوانها ان مسطرها هو ولده يوسف فقرأ: «تجرّع والدي كأس الضيم بقلب صبور وشهامة نفس عسى فرجاً قريباً يأتيك من لدنهِ تعالى » . واما الداعي الى هذه الرسالة فهو ان السيد لور بعد ان تبيّن علّة جاك ترآى لهُ ان نجاته من الموت ليست ضرباً من المحال لانّ فعل المصل كان بقي محصوراً في الشقّ الأيمن فجعل الدكتور لور يبحث عن وسيلة لايقاف العلّة في طريق امتدادها حتّى تتوفّر لديهِ انهُ يستطاع ان يحصر الفساد الجاري في الشقّ الأيمن على شريطة ان يفتح الطبيب بدم بشر . فارتاب لور في امرهِ وتعرقلت لديهِ الأسباب . وكان قد رأى فيهِ الشاب يوسف علامات الارتباك رغماً عمّا كان يتظاهر بهِ من الهدوّ والسكينة . فجهد في الاستطلاع منهُ عما انجلى في حال جاك حتى صرّح لهُ الدكتور بالامر . فنهض يوسف منتصباً وقد أحسّ من نفسهِ قوّة في التفاني فكشف عن صدرهِ وقدّمهُ للسيّد لور قائلاً: وهل دمي يحسن لتلقيح المريض ؟

أجاب لور : أسفي على شبابك يا يوسف وكيف تعرّض جسدك البالي لامراض ربّما افضت بكَ الى الموت ؟

— ما أشهى الموت على قلبي لو ادركت بهِ خلاص أبي وخلعت العار عنهُ

— وماذا يجديك خلاص الدكتور ان متَّ انت عقيب خروجه من السجن ؟

— وايُّ لذَّة تجديني الحياة لو أهان الناس أبي وقالوا فينا ما يبقى علينا عاره الى الدهر ؟

وبالغ الدكتور في نصح يوسف حتى يرجعهُ عن مراده الّا ان ذلك لم يكن ليثني الولد الودود عن عزمه فهتف قائلًا : هيهات ان ابخل بدمي وبه اغسل الحوبة عن ابٍ محبّ بذل الروح لي دوماً ؟ لعمري ان دمي حلال في من رويت في فيض نعمته : اذيك ابتِ بالروح والجسد ولا فضل لي في ذاك بل الفضل لك اذ لولاك بعد ربّي لما سرى في عروقي دم ولا تصعّد من صدري نفَس . . . ناشدتك الله سيدي الدكتور ألّا تحرمني نعمة طالما تاقت اليها روحي

فأثّر هذا الكلام في السيّد لورتأثيرًا شديدًا فما تمالك حتى هتف : « كنتُ اظنّ المحبة الى هذا المقدار من الشهامة أمرًا خياليًّا وقد جاء مثلك مصداقًا على ما كنت لم احفل به وعلمتُ انَّ الكرم حيّ لم يمتْ حتى الان . فليكن بنيَّ ما اردت »

*

أتى على الشاب يوسف أسبوع بعد ان استخرجت الاطباء من دمه ما فتحوا به اعضاء جاك البالية فتقوّى على جراثيم الفساد الجارية فيه واخذت تسري في عروقه العافية . اما قوى يوسف فكانت في حالة من الضعف يُرثى لها فإن ما سال من دم جسده النحيل انهك قواه وتأكلت الحمّى لحمه فاصبحت حياته في خطر منذر . وكان الدكتور لورملازمًا لهُ ليلًا ونهارًا يعالجهُ بما أوتي من المهارة في صناعته غير انهُ ما عتم ان ظهرت على مثال البرّ وسمة الموت فطلب الشاب التقي ان يزوّد الأسرار المقدّسة فقبلها بوقار مردّدًا لسمعي يسوع ومريم ومن ثمَّ وجّه افكاره الى دار الخلد فكان لهُ عبارات يصف بها السماء وضيائها تسبي عقول السامعين وتحيك في قلوبهم

وكان إذ ذاك قد قدّم السيّد لور قرارًا للمجلس وقّع عليه اطبّاء المستشفى يطلب فيه اطلاق الدكتور شميت من السجن اذ تعافى جاك ورجعت اليه الصحّة فاطلقت المحكمة سراح السجين على انها حكمت عليه بغرامة قدرها الف فرنك تعويضًا لجاك عن المدّة التي قضاها في المستشفى من يوم لفحهُ الدكتور شميت بالمصل

ولما أُطلق سراح السجين اقبل السيد لور واصحابهُ معهُ يستقبلونهُ على باب المجلس

ويهنئونه فما كان أشدّ انذهالهُ لما لم يلمح ابنه يوسف بين من حضر وهو في اشتياق حارّ الى ان يضمّهُ الى صدرهِ فسأل أين يوسف ؟ ولما نكّس الجمع رؤوسهم ولم ينطقوا بنت شفة صاح الاب للحبّ بصوتٍ أليم كأنّهُ ادرك ما حلّ بفلذة كبدهِ : ناشدتكم الله اخبروني أين يوسف . فاستدعاهُ السيد لور واخذهُ على حدةٍ واوقفهُ على حقيقة الحال والدكتور يردّد بصوت يتقطعهُ الحزن : ولدي ولدي ... ومن لنا بوصف حالة ذلك الوالد المسكين لما دخل على ولده ومنتهى آمالهِ ووجدهُ على آخر رمقٍ من الحياة فاستطار فؤادهُ التياعاً واكبَّ على وجيده يوسف يقبّلهُ ويغسل جراحهُ بماء جفنيهِ وكان قد تفطّر فؤاد الحاضرين لذلك المشهد الفاجع فتقاطرت عبراتهم جميعاً وهتف شميت : اغفر ذنبي ولدي انا السبب في موتك واسمعني الكلمة الاخيرة من فيك اترى قد صفحتَ عني ... قال ثمّ اجهش بالبكاء فانقطع عن الكلام ..... اما يوسف فحرّك شفتيهِ كمن يحاول النطق فلم يقدر لكنهُ انحنى على والدهِ وقبّلهُ قبلة افادت ما طلب ... ثمّ سقط رأسه على صدرهِ واذا هو فارق الدنيا

وبعد بضعة أيام استقال الدكتور شميت من خدمتهِ وقد ادّبتهُ حكمة ابنهِ ولحكمتهُ التجارب فاعتزل في إحدى القرى المنقطعة واقام فيها ليقضي باقي حياتهِ في الصلاة والعبادة وهو يعيد في ذاكرتهِ ما حدث لهُ فترتعد فرائصهُ من مجرّد ذكر يوسف وما قاساهُ بسبب ابنهِ الودود . وكان يتردّد الى ضريحهِ حيث كتب هاتين الكلمتين « مثال البرّ »

نصرانيّة غسّان

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تتمّة)

وهذه الكتابة العربيّة المسيحيّة اوّل كتابة وُجدت من عهد الجاهليّة بالحرف العربي كتبها في أيّام الملك المنذر الغسّاني (١ شرحبيل بن ظالم احد امراء غسّان سنة ٤٦٣ ليصرى الموافقة لسنة ٥٦٨ للمسيح (٢ . وقد وُجدت سنة ١٨٧٩ في زيد كاية

---

١) قد وقع غلط في العدد الاخير (ص ٥٣٥) س ٣) حيث قيل ان هذه الكتابة « هي للملك المنذر »

٢) اطلب Waddington: *Inscript. gr. et lat. de la Syrie*, n° 2464

أقدم منها بالعربيَّة والسريانيَّة واليونانيَّة. تاريخها سنة ٥١٢ للمسيح وهي الاثر الثاني بالحرف العربي قبل تاريخ الهجرة لا يُعرَف الى الآن غيرهما ومن العجب ان الاثرين لكتبة نصارى. وناهيك بذلك شاهدًا على امتداد النصرانيَّة بين العرب. أمَّا الآثار اليونانيَّة في بلاد غسَّان فلا تكاد تُحصى وقسمها الكبير بل الاكبر نصرانيّ محض وهي عبارة عن كتابات دينيَّة كبيع ومشاهد ومدافن وغير ذلك ممَّا يُرى في كلّ قرية او خربة وليس بين تلك الآثار كتابة تدلُّ على اليهودية بين الغسَّانيين

٦ ومن هذه الآثار القديمة اعلام الامكنة التي بقيت حتى اليوم كدليل ناطق على أتساع النصرانيَّة في منازل غسَّان لاسيما الصفا وحوران. فان عددًا دثرًا من اسماء الامكنة يُدعى في زماننا بالدير كدير الكهف ودير علي ودير قنّ عدَّدها الاثريون دي ڤوگوي ووادنغتون ودوسُو وغيرهم

٧ ويضاف الى هذه الشواهد جداول المراكز الدينيَّة التي تدلّ على تعدُّد الاسقفيَّات في تلك الانحاء. فان مطران البصرى وحده كان يحكم على ٢٠ اسقفًا (١ وكان بعض هؤلاء الاساقفة يتنقلون مع القبائل الراعية فيكنون الخيم ولذلك يدعونهم اساقفة الخيم (ἐπίσκοποι τῶν σκηνωμάτων) وقد امضوا غير مرَّة اعمال المجامع بهذا الترقيم « فلان اسقف اهل الوبر » او « فلان اسقف القبائل الشرقيَّة المتحالفة » او « فلان اسقف العرب البادية » (٢. أفترى بيّنة أعظم من ذلك على انتشار النصرانيَّة بين الغسَّانيين

٨ ولمَّا اشتبكت الحرب في اوائل الاسلام بين الروم وخالد بن الوليد كان مع الروم عدد من عرب النصارى يبلغهُ الكتبة الى مئة الف مقاتل (٣ كان قسم كبير منهم من بني غسان. ولن قيل ان هذا العدد مُبالغ فيه فيبقى دائمًا ان العرب المتنصرين كانوا قومًا يبلغون الالوف المؤلفة

أفتكفي هذه الحجج مناظرنا ليقرّ بصحَّة قولنا عن غسان انَّها كانت تدين بالنصرانيَّة

---

١) وجاء في بعثة دوسو الى بادية الشام (René Dussaud: *Mission dans les régions déserliques de la Syrie moyenne*, p. 77) انَّ عددها كان ٣٣

٢) اطلب مجموع اعمال المجامع (Labbe : IV, 83, 91, 268)

٣) راجع ما كتبهُ الياس النصيبي المؤرخ (Elias Nisib. *ap. Baethgen*, Fragm. 109)

ولو شئنا لعزّزنا هذه الادلّة بشواهد أُخرى من كتبة السريان كميخائيل الكبير وابن العبريّ ويوحنّا اسقف افسس ويوشع العموي ونصوصهم توافق ما ذكرناهُ آنفاً. فكيف يستطيع الكاتب البغدادي ان ينسب كلامنا الى الغرض او التعصُّب . وان كان لا يقنع بما أوردنا فندعهُ وشأنهُ لعلَّهُ يجد غيرنا يرشدهُ الى الصواب

هذا ولا نريد بقولنا السابق عن نصرانيَّة غسان أنهم كانوا مستقيمي الرأي بعيدين عن البدع التي انتشرت في القرون السابقة للهجرة. كلَّا بل نعرف انَّ البدعة اليعقوبيَّة تمكنت فيهم ونكبت بكثيرين منهم عن جادَّة الحق. كما روى الامر كتبة ذلك العهد من يونان وسريان. وعليهِ لا صحَّة لقول الكاتب البغدادي في حثّنا في المجلَّة المصريَّة « ان حضرته (يريد ضعفنا) اذا اراد ان يزكّي نصرانيَّة شاعر برَّأ ساحتهُ من كلّ ما يمكن ان يقع على ثياب دينهِ ادنى غبار الّا ان ذلك كلّهُ اذا فات على عقول بعض القرَّا فلا يفوت على عقول الادباء لانهُ لا يشفي فيهم علَّة كما لا يروى منهم غلَّة »

لله درُّ الكاتب في تسطيرهِ هذه العبارات متهكماً أفيظنّ انَّ التهكُّم يقوم مقام الحجَّة. فهيهات ان تنظم كل النصارى في سلك القديسين ولكن لا يجوز ايضاً ان نخرج قوماً من حيّز النصارى مع ما لدينا من البيّنات في نصرانيَّتهم وان وُجد في سيرتهم أُمور ملومة لا توافق تعاليم النصرانيَّة كالنسطوريَّة واليعقوبيَّة والاريوسيَّة

*

قد بقي ان ننقد ما اتى بهِ مناظرنا لينفي النصرانيَّة عن غسان وهذا قولهُ بالحرف:

« اما ان فريقاً منهم كان يدين بالوثنية فهو اشهر من ان يذكر فهذا الحارث الاكبر ابن ابي شمر الغساني الملقب بالاعرج وهو الذي اشتهر ملكهُ في ايام القياصرة فانهُ كان وثنيّاً قطعاً ويتضح ذلك من انهُ اهدى سيفهِ المعروف احدهما باسم رسوب والآخر باسم مخذم لبيت الصنم (عن الطبريّ ١ : ٦ : ١٧٠٦) ويعني بالصنم المذكور هو بيت مناة لأن غسان كانت تعبد هذا الصنم (عن معجم ياقوت في مادَّة مناة)

« وزد على ذلك انَّ تلبية غسان عند وقوفها عند صنمها كانت هذه: « لبيك ربَّ غسان راجلها والفرسان » (عن تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٧). وهذا سطيح الكاهن المشهور فانهُ كان غسانيّاً الّا انهُ لم يكن نصرانيّاً وان كان خال نصرانيّ من اهل الحيرة. فهل بعد كلام هؤلاء الأئمة الافاضل مندوحة للاجام والاجام »

فنجيب على الشاهد الاوَّل اي وثنيَّة الحارث ابن ابي شمر الذي اهدى سيفيهِ لبيت الصنم انَّ نصرانيَّة الحارث ثابتة بشواهد متعددة أقدم وأصحّ وأوضح من قول

الطبري لأنَّ المؤرخين المعاصرين له او القريبين من عهده من يونان ولاتين وسريان لا يدعون ريباً في نصرانيته . وحسبك دليلاً على قولنا انهُ هو المنعوت بالكتابات القديمة بالمُحِبّ للمسيح (اطلب الصفحة ٥٢٣) . لكنَّ هؤلاء الكتبة يجعلونهُ يعقوبياً . اما شهادة الطبري فليس من شأنها ان تبطل أقوال من سبقهُ ولعلهُ روى روايةً ضعيفة على علاتها او يكون وَهِمَ باحد معابد النصارى فجعلهُ بيت صنم . وفي معجم ياقوت (٤ : ٤٥٣) رواية مخالفة تجعل السيفين في بيت صنم لطي . . وان امكن الكاتب ان يثبت صحَّة هذه الرواية اجبنا انَّ الحارث النصرانيَّ أتى بذلك فعلاً ذميماً ففي شرائع النصرانيَّة او تجاهل بها وذلك ليس بكافٍ ليقال انهُ كان وثنياً مع صراحة القائلين بنصرانيته

ثم زاد المباحث « انَّ غسان كانت تعبد مناة » واستند في قولهِ الى معجم ياقوت . فجوابنا على هذا الاعتراض سهل فنقول انَّ غسان في ايَّام وثنيتها عبدت مناة لكنَّها لما تنصَّرت نبذت عبادته . وقد بيَّنَّا انَّ تنصُّرها قد تمَّ منذ القرن الرابع للمسيح

اما الحجَّة الثالثة على وثنية غسان اي وقوفها عند صنمها قائلة : « لبيك ربَّ غسان واجلها والغرسان » فيمكن دحضُها كما دحضنا الحجَّة الثانية اعني بنسبة هذا القول الى عهد وثنيتها قبل تنصُّرها . ولكن يجوز القول ايضاً انَّ هذا النصَّ ليس فيهِ أثر للوثنية اذ لا يذكر هنا اليعقوبي صنماً لغسان وانما يقول فقط « وكانت تلبية غسان لبيك ربَّ غسان واجلها والغرسان » وهو كلام صحيح ودعاء صالح الى إله الحقّ . فقول الكاتب « عند وقوفها عند صنمها » زيادةٌ منهُ

بقي ذكر مناظرنا لسطيح الكاهن الذي قال عنهُ انهُ كان غسانياً ولم يكن نصرانياً ونحن لا نشاحنهُ بذلك وكلّ عاقل يعلم ما ورد من الخرافات في قصَّة سطيح في كتب العرب . فكان الاولى بصاحب الجدال ألَّا يحتجّ بحجج ضعيفة كهذه ساحهُ الله

ثمَّ انتقل مناظرنا الى بيان امر آخر فقال عن يهودية غسان :

« اما انَّ اليهودية كانت في غسان فهذا بيّن من دين السموأل فانهُ ليس من كاتب او مؤرخ او لغويّ ذكر دين السموأل الَّا وقال عنهُ انهُ يهودي المذهب . . . لا بل ان حضرة الأب تنسهُ يقول بذلك في مجاني الأدب (٣ : ٢١٢ في الحاشية فكيف اتى اليوم من رأيه — هذا وان اليعقوبي يقول بصريح العبارة (ص ٢٩٨) : وتهوَّد قومٌ من غسان »

هذه حجج جناب المناظر في اثبات اليهوديَّة في غسان فنقول اننا لم ننكر ان كتبة

العرب جعلوا السموأل يهودياً بدليل ما اثبتناهُ نحن ايضاً في مجاني الادب وفي شعراء النصرانيَّة فان كنَّا اثبتنا عن رأينا فذلك لأسباب اوضحناها في القسم الاوَّل من مقالتنا والعاقل اذا وجد داعياً لتغيير رأيهِ غيَّرهُ وليس في ذلك ما يشينهُ . ولا حاجة لتكرار ما قلناهُ سابقاً فليراجع

بقيت الشهادة التي نقلها مناظرنا من تاريخ اليعقوبيّ (ص ٢٩٩) ان قوماً من غسان تهوَّدوا

نجيب أوَّلاً انَّ اليعقوبيّ وحدهُ نسب اليهوديَّة الى قوم من بني غسان اما بقيَّة الكتبة فانهم يحصرون اليهودية في قبائل معروفة كقريظة ونضير واهل خيبر وبعض كنانة وبعض كندة والحرث بن كعب

وان اعترض المعترض بالسموأل فقال: أليس السموأل من غسان والكتبة يجعلونهُ يهودياً . أجبنا ان نسبة السموأل الى غسَّان من الامور المشبوه بها ودونك قول كاتب يُعَدُّ قولهُ حجَّة في هذا الباب ألاَ وهو ابو الفرج الاصبهانيّ صاحب الاغاني قال في نسب السموأل (١٩ : ٩٨) :

هو السموأل بن غريض بن حياء . ذكر ذلك ابو خليفة عن محمَّد بن سلام والكلبي عن الطوسي وابن حبيب انَّ الناس يدرجون غريضاً من النسب وينسبونهُ الى عاديا جدّه . وقال عمرو بن شبَّة هو السموأل بن عاديا ولم يذكر غريضاً . وحكى عبدالله ابن ابي اسعد عن دارم بن مقال وهو من ولد السموأل انَّ عاديا (هو) بن وقاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . وهذا عندي محال لأنَّ الأعشى ادرك شريح بن السموأل وادرك الاسلام وعمرو مزيقيا قديم لا يجوز ان يكون بينهُ وبين السموأل ثلاثة آباء ولا عشرة الَّا اكثر والله اعلم . وقد قيل انَّ أمَّهُ كانت من غسان . . . وقيل بل هو من ولد الكاهن بن هارون بن عمران (اعني من قريظة ونضير . راجع ايضاً تاريخ ابن خلدون)

فترى ما في هذه الاقوال من التضارب والتباين . وكأني بالمعترض يردف قولهُ بقولهِ : « فمالك اذن لا تسلم بيهودية السموأل » نجيب أنَّا لا نسلم بيهوديتهِ ان كان من غسان لمَّا اذا قيل كما ورد في نص كتاب الاغاني انهُ كان من غير قبائل كقريظة والنضير فانَّا لا نأبى ان نسلم بذلك . وان قال المعترض : فكيف يصحّ اذن قول السموأل عن المسيح :

وفي آخر الازمان جاء مسيحنا فاهدى بني الدنيا سلامَ التكامُلِ

ان كان السموأل يهودياً ؟ أجبنا انهُ لمحتمل ان يكون وجد رجلان شاعران باسم

السؤل احدهما من غسان وكان نصرانيًا فيصح نسبة البيت له . والآخر يهودي من بني قريظة او يهود غيرهم (١ ان نسبت اليه القصيدة كان بيتها الاخير مصنوعاً

نجيب ثانيًا انَّ الكتبة العرب (الًا اليعقوبي) ليس فقط لم يذكروا تهوُّد غسان بل ذكروا عنهم أنهم رفضوا اليهودية . قال صاحب الفضل شكري الالوسي البغدادي في كتاب بلوغ الارب في احوال العرب (٢ : ٢٦٢) انَّ تبع الاصغر الحميري لمَّا تهوَّد دعا الى اليهودية غسان فأبوا معتذرين بدخولهم الى النصرانيَّة قال : « وسار (تبع) الى الشام وملوكها غسَّان فاصطهُ المقادة واعتذروا من دخولهم الى النصرانيَّة »

نجيب ثالثًا انهُ لمحتمل ايضًا انَّ اليعقوبي نسب اليهودية الى قوم من غسَّان لانتشار بعض الشيع النصرانيَّة بينهم . وهذه الشيع كالابيونيين (ébionites) والنزاريين (nazaréens) وغيرها كانت من بقايا اليهود الاولين الذين تنصَّروا وحفظوا شيئًا من نواميس موسى وهم الذين خرجوا من أورشليم قبل حصارها في عهد طيطس فعبروا الاردنّ وانتشروا في بلاد العرب وعُرفوا باليهود المتنصرين (judéo-chrétiens)

وجمل الكلام أنَّا لا نسلِّم بيهودية غسَّان بحصر المعنى وكذلك نقول عن السؤل انهُ ان صحَّت يهوديتهُ لم يكن من غسَّان فيكون البيت الذي رُوي لهُ عن المسيح مصنوع . ما لم يُقَلْ انهُ كان من الشيع التي ذكرناها في جوابنا الاخير فقيل لهُ يهوديّ بالمعنى المزبور وحينئذٍ يمكن نسبة البيت اليه مع القول بانهُ من غسان

هذا ما سطَّرنا على جناح السرعة بعد تغيُّبنا أيامًا من بيروت . وكان بودّنا ان نتابع البحث فننتقد بقيَّة ما كتبهُ الناظر البغداديّ في المجلَّة المصريَّة ولعلَّنا نعود الى تمحيص أقوالهِ وبيان ما ورد فيها من الآراء الضعيفة . وكفى اليوم بهذه المقالة الوجيزة شاهدًا على شططهِ

رحلة ابرهيم الحكيم الحلبي الى مصر

مني بنشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

كلٌّ يعلم ما اظهرهُ الروم الملكيُّون الكاثوليك من الشهامة في اواسط القرن الثامن عشر للدفاع عن ايمانهم بازاء البطريرك سلفستروس القبرصي . ولمَّا طاب هذا تباهم في الدين الكاثوليكي

---

١) ويؤيد ذلك ما ورد في نسخة حضرة الأب انستاس بأن القصيدة للسؤل من بني قريظة

ارسل اليهم اسقفاً يُدعى فيليمون اتّسع الكتبة في وصف اخلاقهِ البيّنة . فلمّا جاء الى حلب سنة ١٧٥٣ ابى اهلها الخضوع لهُ بدلًا من اسقفهم القانوني مكسيموس الحكيم فاضطهد فيليمون الكاثوليك حتى اضطرَّ كثيرين منهم ان يخرجوا من وطنهم . ومن جملتهم ابراهيم الحكيم احد اقارب الاسقف مكسيموس فهرب هذا الى مصر ولمّا بلغها كتب هذه الرسالة الى احد اصحابهِ في حلب وهي طويلة اقتصرنا على ذكر بعضها . وقد وجدنا الاصل في بيت احد وجوه البلدة بشاره افندي يارد فنتعرض لهُ الشكر لترخيصهِ لنا بنشر هذا الاثر . اما ابراهيم الحكيم فلا نعلم شيئاً من امرهِ الّا ما يُستخلَص من اخبارهِ في هذه الرسالة التي تدلّ على اقتدارهِ في الانشاء وبراعتهِ في الكتابة نظماً ونثراً

ان ارقّ وألطف ما انشأت وسَّت ألسنُ اليراع من تحيّة . وسلام وآداب واحترام من فرائد غُرَر البيان من نحور الاذهان الذكية . وأبهى وأعجب ما تُرقِّم بهِ وجنات الطروس من ابكار خرائد الاذهان بعقود جمان الافكار من عبارة معنويّة . وازهى واغرب ما تُعلَّم بهِ زكيّات النفوس من اسرار ضمائر الجنان من برود معاني النثار من صناعات عقليّة . وأحلى وأعذب ما تعتّقت وصفت العقار والصّهباء ودارت الكؤوس على الندمان سرًّا وجهرًا . واشجى واطرب ما تغرّدت وشدَت اطيار الربى وطارت على رؤوس ذرى الاغصان كرًّا وفرًّا . . . :

سلامٌ يعمُّ الكونَ من عرفهِ الاعطرْ وقد ضوَّع الأحيا شذا مسكهِ الاذفرْ
وفاح على الندّ الذكيّ عبيرُهُ وفاق على البخور والطيب والعنبرْ

ذو المجد والجلال . والعزّ والسعد والاقبال . فخر الحذاق الافاضل المحققين . بحر آفاق الفضائل المدققين . شمس الملاحة الساطعة الاشراق في الليل الحافل . قسّ الفصاحة الذي فاق على سحبان وائل . وقد تقدَّم بالبراعة والبلاغة على الاواخر والاوائل . البحر المتدفق الزاخر الذي ما لهُ اوّل ولا آخر :

فرد الانام وواحد الاوقاتِ خير الانام وامجد السادات
السيد النّدب الذي فاق الورى علماً وحزماً مع كمال الذات
قد درَّك ما جمعتَ ناقباً حبًّا وذاتاً مع سموّ صفاتِ
فكأنما جُبلت طباعك كلها من هذه الاوصاف والحسناتِ
قد حزتَ من مولاك خير كرامةٍ فاسمُ بها مستنم الفرحاتِ
واسلمْ ودم شمساً بمرَّةٍ تنجو من الاخطار والآفاتِ

أعني بهِ اكمل الخلّان وأجمل الاخوان . انسان عين الزمان . الذي نال من مولاه أسنى المواهب واتّبع بالله أشرف المذاهب . وارتفع فيهِ على كلّ خلّ وصاحب . فرقى

لي عهده دون سائر الرفاق والاخوان. وصفّى لي ودّه مع كدر الزمان وشفى قلبي من وحشة الهجران. وازال كربي بالاحسان دون امتنان. ولهذا سكنتُ الى وفائه فالقيت عنده عصا التسيار. وعقدتُ على اخائه خنصر الاختيار بعد الاختبار. وصرفتُ الى ولائه ازمّة الاجتهاد بعد الانتقاد. وجعلتهُ بعد الله العماد وعليه الاعتماد.

جعلتكَ نصرتي في كلّ شدّه ... وبعد الله في الضيقات عُمدَه
ورُمتُكَ لي مدى الايّام حسبي ... وقلت كفاني هذا الخلّ وحده
وكنتُ اظنّ ان تبقى زمانًا ... وان تعلي لنا الايّامُ مُدّه
وما خلتُ الفراق يكفّ عني ... لفاكَ وارضى فيا لن أودّه
ويرميني غريبًا في بلادٍ ... أرى فيها يوبي الف شدّه

فكم اقتطفتُ من أثمار مجاني ادابكم ما هو أشهى من العطر وأزهى من النجوم الزهر. وكم اغترفتُ من تيّار معاني خطابكم ما يصلح فساد الفكر ويعلي الذكر. وطالما اعتلقتُ بشوارد جواهر من جياد تلك القصائد. والتقطتُ من فرائد نوادر اجياد تلك الفرائد. حتى وردت هذه الموارد وتفوهت بنظم هذه النشائد. التي هي من ابهى العقود والقلائد

يا فريدًا علا على كلّ ندّ ... وشبيهٍ قد فاقَ فوق الصحابِ
قد ملكتَ الكمال جسمًا وطبعًا ... واتخذت الجمال خير ثيابِ
فاسمُ وأسلمْ ودم وكن في امان ... من خطوب الزمان والاحقابِ
ما تغنّت بلابل الدوح حبًّا ... في زهى الروض من صفاء السحابِ

الّا اني كنت اظنّ ان الايّام تدوم. وطير الفراق على رؤوس الانام قلّما يحوم. حتى ضربتنا ايدي سبا وشربنا كأس الفراق المرّ المذاق واصعب من السمّ الذعاق. وتشتتنا في الآفاق وحرمنا طيب ذاك التلاق المحكم الوثاق. . . ولكن بينا انا مشغول بالوسارس الفكريّة. ومنحرل بالدسائس الوهميّة. متبلبل الاحوال. مقطوع الآمال. لا ادري اليمين من الشمال. اذ بزغت مطالع الجمال من شموس المودّة السنية. وأشرقت لوامع الوصال من طروس المحبّة الشهيّة. فرمقتُها رمقة ملهوف. ولثمتها لثمة مشغوف. وفضضت ختام بكارتها. وتحليت بتمام بهجتها ونضارتها. والتقطت من ساحة رياضها أزهار الدرّ المصون. واقتطفت من دوحة غياضها اثمار سرّ الفنون. ولجتنيت من مجاني اسرارها ما انا به أحرى. ولستجليت معاني ابتكارها حين وجدتها بكرًا

وعاشَ الله ما هذي المعاني ... م اللواتي تضمّنت غرر البيانِ

لقد احكمتها نظماً ونثراً كنظم الدرّ بين البهرمان
سبائك عسجد ام سلكُ درٍّ أنيط على الصدور من الجمان
فكم لكمُ عليَّ بذاكَ فضلٌ وكم فيه رفعتم خفض شاني
لقد أكثرتمُ الافضال حتى غدا من شكرها يبيا لساني
وقد جُدتم بلا شحٍّ علينا بما لم يحظَ ادناه بناني
وقد اوقرتمُ ظهري بحملٍ غدا عن حمله الريبال عاني
فاشكر فضلكم عنهُ وأثني جزيل عناكمُ في ذي المعاني
لقد حزتم خصالاً لم يحزها ولا من قد حوى قصب الرهان
وقد فزتم بمجدٍ واعتلاءٍ وفضلٍ فاقَ متن التيّران
قدمْ وأسلم بعون الله وابقى مدى الايام مع طول الزمان

وقد ارتشفتُ من معاني رموزها ما يروي القلوب ويزكي الحواس . واغترفت من تيار كنوزها ما يغني عن مل . الجيوب والاكياس . ولمّا كشفت ما بها استتر من الاسرار والمعاني الابكار والنظم والنثار . فاذا هي التيّار والبحر الذي ليس لهُ قرار والفيض المدرار الكثير الانهمار . وقلت شعراً :

أشذورُ تبر مع طروس عاجٍ ام نظم درٍّ في قبا ديباجٍ
ام ذي عقود جواهر نيطت على ببض النحور وماثل الاوداجِ
ار روضة قد ابتسمت ازهارها فحكت نجوماً في ظلام داجي
ام ذي سنانٍ نظمت وتلطفت حتى غدت كجواهر في تاجِ
يا ايها الحبر الذي تنجت لنا بطروسه الآداب خير نتاجِ
امنن ولا تقطع دواعي نعمكم عني لاني لم ازل بكَ راجي
واكثر علينا ذا السخاء لأنهُ يكسو العقول بنوره الوهّاجِ
لا زلتَ موضوع السماحة والسخا تأتيكَ افواجاً على افواجِ
بل لا برحت على المدى متراقياً فوق الثريا في ذرى الابراجِ
فأسلم ودم متنعماً بسلامةٍ وسرورةٍ من كلّ خيرٍ ناجي

وقد اذكرني طيب انفاسها . وعذوبة جناسها . بانفاس أولئك القوم الأدباء . ورقّة طباع اهالي الشهباء . وحسن مناخها وقراها . ولطف نسيمها وهواها . وجمال تلك البلدة التي هي رونق الانام . والشامة التي في وجنة بلاد الشام . جنّة البلاد ووجبة ارض الميعاد . بلاد بها نيطت عليَّ تمائمي . وميطت عني كمائمي . وناهيك من حب الوطن . ومقرّ الاهل والسكن :

قلبي يذوب الى المنازل والحما ورئ ذاك الحي اشفاني الظما

ولقد حنت لهُ حنين الالف مذ عنهُ نأى إلفٌ وصدَّ عن الحما
اسفي على الزمن الذي فيهِ بدا تلفي بهِ كيف انقضى وتصرَّما
يا حبذا ذاك الزمان وحبذا الاوطان والسكان كم لي فيهما
من كل ندبٍ لوذعيٍّ اروعيٍّ م ألمعيٍّ بالبلاغة قد سما
قومٌ يكل اللسن عن اوصافهم وغدا جم من الفصاحة ابكما
فارقتهم غصباً عليَّ ولم ازل لفراقهم متندماً متألما
ياساكنين الحي هل لا ترحموا فتعرجّوني للديار تكرُّما
وافوز في لقياكمُ متنسماً بنسيم ارض بحرُ نعماها طمى
دارٌ غدت اعجوبة الدنيا وقد أبت أن تحاكي بلدةً تحت السما
سقياكِ يا حلب الفريدة انَّكِ حزت مقاماً في البلاد مكرَّما
حتى غدوتِ شامة في وجنة الدنيا تزيني ثغرها والمبسما
فلذاكَ لا اختار غيرك لو غدت ارضوها تبراً وماؤها بلسما
خذ يانسيم الصبح عرفاً طيباً مني اليها قاصداً وسلما
نادي جا دار المحبة انمي وعي صباحاً ثمَّ زيدي انما

وها انا من شوق الديار اتقلَّب على جمر النار. ومن ذاكَ القضا. يثقل قلبي لنار الغضا. وتنسفح مني الدموع رحضاً. وتندي من الوجد والغرام. ما يكلُّ عن تدوينهِ بيان الاقلام. ومن الصعداء والزفير ما لو مرَّ بريح لعاد سموماً. ولو صافح الروض النسيم لصار هشيماً. غير اني لم ازل استشفي بكل نسيم هبَّ من ذلك الجناب. واستسقي لسكناهُ وطفُ المزن والسحاب لا برحت اهاليها دائمة العزّ والمجد والجلال. وملازمة الحظ والسعد والاقبال. ما غرَّدت الطيور والحمام على قدود منابر الاغصان. وما افترَّت ثغور الكمائم عن ورود وازهار الوديان

أمَّا بعد فابدي لجنابكم جزيل الشكر الوافر لجودكم والاحسان. ما لم يقدر يحويهِ الجنان. واهدي اليكم جزيل الحمد المتكاثر على فضلكم والامتنان. ما ليس يقدر يُحصيه الانسان. لاني ما كنت اؤمل بعد ما فرط مني من ذاك العتاب. ان تتفضلوا عليَّ بعدهُ بالجواب. او مكاتبة وخطاب. إلَّا ان لطف أخلاقكم ما عاملتني بالترك والهجران. بل أبدت لي صفو الجنان واغضيتم الطرف والعيان عن الذنب والنقصان. شرَّفتموني بمشرفة رابعة. لاولئك الثلثة تابعة. وهي كالحديقة الياسة التي لانواع الأزهار جامعة. وكالقلادة اللامعة الحاوية الورد والجواهر الساطعة. او كالسماء السابعة المزيَّنة بالكواكب اللامعة. فرمقتها بعين دامعة وبهجة من الوجد

هامعه. وذلك لفرط ما عراني من الخوف والوجل والحزي والخجل . لما فرط مني بطريق العجل . فلذلك قلت قول مرتجل . شعر :

لقد وافت الينا من حماكم جليل الركب دون انقضاض
نفستُ لها على الاقدام شوقًا لما تبديه من حسن التراضي
ولمّا افترّ مبسمها وفاهت باهداء السلام بلا انقباض
فرحت مقبّل الارضين شكرًا لحسن سماحكم عن كل ماضي
فلكم بحقّ ان يسمّى مسجبًا وذاكَ بلا اعتراض
ومسدوحًا ومحمود الثنا من جميع الناس في كلّ الاراضي (لهُ تابع)

الآداب العربيّة في القرن التاسع عشر

بحث تاريخي وانتقادي للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع)

فمن هؤلاء الادباء المسلمين اسمعيل بن الحسين جمعان لهُ ديوان صغير الحجم في احد مجاميع لندن المخطوطة (Supplement of the Catal. of the Arabic Mss, n° 1323, 3°) يحتوي على قصائد ومراسلات ومقالات نثرّى كتبها بين السنة ١٢٢٧ وسنة وفاته ١٢٥٠ (١٨١٢—١٨٣٥)

ومنهم الشيخ عبدالله الحلبي كان شاعر زمانهِ في الشام لهُ ديوان مفقود وقد وقفنا لهُ على بعض فقرات في ديوان نيقولا الترك منها قولهُ في جملة قصيدة يذكر تآليف الترك:

أتت بسحر بيانٍ ابانَ فضلًا جزيلا
عن فضل ذي الفضل ينبي عقدًا بديعًا جميلا
صحيح معناهُ يروي عن الصحاح نقولا
ما درّ درّ قوافٍ ترتّلت ترتيلا
فنّ الفصاحة فيهِ سحبانُ اضحى ذهولا
لم يترك الاوّلون الى الاواخر قيلا
عنهُ التواريخُ تُروى براعةً وشمولا
قد سار ذكرًا شهيرًا بين الانام جليلا
فهو يومٌ اتانا منهُ الثنا مستطيلا
وطال ما كان سمي سماءها مستقيلا
حتّى تشنّف منها وهام فيها ثمولا

وجاء في الديوان عينه ذكر شاعر آخر وهو الشيخ صالح نائب طرشيحا روى له قصائد منها قوله يمدح آل شهاب والشيخ بشير جنبلاط ويذكر قرية المختارة قال :

واصبو الى لبنان وهي مواطنٌ عرفتُ بها ظلًّا هناك ظليلا
بآل شهابٍ كلَّل الله عزَّهم وشرَّف منها اربُعًا وطلولا
وبالجنبلاطيِّ البشير تشامخت جبالٌ بها تعلو المجرَّة طولا
فتىً ما لهُ في الدهر ثانٍ وانهُ ابو قاسم حاز الكمال جميلا
همامٌ اذا ما الحرب شدَّت وثاقها ترى اسدًا للمرهفاتِ سلولا
يصولُ بقلبٍ كالجبال ثباتهُ فيوقع في قلب العدوِّ خمولا
يجودُ وفيضُ الجود يحسُد جودهُ اذا جرَّ من بحر المكارم نيلا
به شرُفت ممتارة العزِّ في الورى وباروكها للفضل جاء دخيلا
تُذكِّرنا جنَّاتِ عدنٍ قصورُها واشجارها شيئًا تراهُ جليلا
فلا مثلها عيني رأت ذات بهجةٍ تكلَّلها من صيِّب السما اكليلا
وبابن عليٍّ عظَّم الله قدرها واحيا لها اسمًا في البلاد فضيلا

وقال يمدح نقولا الترك :

هاتِ زدني من ذكر وصف نقولا ثمَّ أورد ادلَّةً ونُقولا
حبَّذا جئتا لنشهر الفضلَ منهُ وبما نال ينبغي ان نقولا
صيرفيٌّ حوى اللطافة حتَّى صار للطف حجَّةً ودليلا
شاعر العصر اوحد الدهر حقًّا ما وجدنا لمثل ذاك مثيلا
هو يُدعى بالترك فاترك سواهُ من بني العرب واتخذهُ خليلا

واشتهر في الجزائر محمَّد أبو راس الناصري من معسكرة وُلد سنة ١٧٥١ ونبغ في الفقه ورحل الى تونس ومصر والحجاز وتوفي سنة ١٨٢٣ ولهُ قصيدة في فتح وهران على يد الباي محمَّد بن عثمان سنة ١٧٩٢ وقد شرحها في كتاب دعاهُ عجائب الاسفار. ولهُ وصف لجزيرة جربة طُبع في تونس سنة ١٨٨٤

هذا ما وقفنا عليهِ من تاريخ شعراء المسلمين في الثلث الاوَّل من القرن التاسع عشر. ونُلحق بهؤلاء بعض الذين اشتهروا باللغة والآداب فمنهم الشيخ الشرقاوي الذي سبق لنا ذكرهُ (ص ٢٤٤) والشيخ القاياري مصطفى بن محمَّد الشافعي لهُ كتاب مشاهد الصفا في المدفونين بمصر من آل المصطفى. والشيخ محمَّد ولهُ منظومة في آداب البحث ومنظومة في المنطق وديوان شعر ديني سمَّاهُ اتحاف الناظرين في

(١) اطلب تاريخ الجبرتي (٤ : ٢٢٧)

مدح سيّد المرسلين (١ . وُلد سنة ١١٥٨ وتوفّي سنة ١٢٣٠ (١٧٤٥ — ١٨١٥)

ومنهم الشيخ محمّد الحفني المعروف بالمهدي وُلد من والدين قبطيين في مصر سنة ١٧٣٧ وكان اسمهُ هبة الله ثمّ أسلم وهو صغير دون البلوغ وتقدّم في المناصب وألقى الدروس في الأزهر ورافق طوسون باشا في حرب الوهابيين وصارت اليهِ رتبة شيخ الاسلام سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢) وتوفّي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م) . لهُ كتاب روايات على شكل الف ليلة وليلة دعاهُ تحفة المستيقظ والآنس في نزهة المستيقظ الناعس . وخدم البعثة الفرنسويّة العلميّة لمّا قدمت مصر مع نابوليون وذكرهُ بالثناء المستشرق مرسال (١

ومنهم الشيخ محمّد الدسوقي وُلد في دسوق من قرى مصر ودرس علوم اللغة والحكمة والهيئة والهندسة وفنّ التوقيت . قال الجبرتي (٤ : ٢٣١) « لهُ تأليفات واضحة العبارة سهلة المأخذ ملتزمة بتوضيح المشكل » وعدّد تآليفهُ التي معظمها في العلوم البيانيّة والفقهيّة . توفّي سنة ١٢٣٠ (١٨١٥ م)

واشتهر في الموصل من الأدباء الشيخ ياسين ابن خير الله الخطيب العُمَريّ لهُ تواريخ مخطوطة في خزائن كتب لندن وبرلين كالدرّ المكنون في مآثر الماضية من القرون وهو تاريخ واسع للاسلام بلغهُ الى السنة ١٢٣٦ (١٨٢١ م) وافاض خصوصاً في أمور الموصل (Brit. Museum, n° 1263) ولهُ منية الادباء في تاريخ الحدباء (Ibid. n° 1265) وكتاب عنوان الاعيان في ملوك الزمان (Berlin, n° 9484) وجرى ابنهُ عليّ بن ياسين على آثارهِ فكتب نحو السنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨ م) روضة الاحبار في ذكر افراد الاخيار وهو مختصر تاريخ العالم والدول الاسلامية . وذكر في المقالة الثامنة ولاة بغداد من حسن باشا سنة ١٠٠٦ الى سليمان باشا ١٢٢٣ ولهُ كذلك فصل في ادباء الموصل وشعرائها (Brit., Mus. n° 1266) .

وعُرف ايضاً الشيخ ابو الفوز محمّد امين السويدي صاحب كتاب سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب اختصرهُ عن القلقشندي نحو السنة ١٢٢٩ (١٨١٤) والكتاب قد طُبع على الحجر في بمباي سنة ١٢٩٤

---

١) اطلب الجبرتي (٤ : ٢٢٣) وكتاب الاداب العربيّة لهوارت (Cl. Huart: *Littéralure arabe*, 417)

*

وان انتقلنا الآن الى ذكر النصارى الذين ابقوا لنا من قرائحهم الوقّادة ثماراً جنيّة بالنظم والنثر لوجدنا قوماً منهم زانوا بآثارهم جيد الآداب واستحقوا شكر السلف مع قلّة ما كان لديهم في ذلك الوقت من الوسائل للترقّي في العلوم البيانيّة

واوّل من نذكر منهم رجل عصره الذي ترجمناهُ سابقاً في المشرق (٣ : ٩ — ٢٢) وهو ميخائيل البحريّ الشاعر الروميّ الملكيّ الحمصي الاصل. كان متفنّناً بالآداب العربيّة وينظم الشعر الرائق كما ترى في الامثلة التي اثبتناها عنهُ في سيرتهِ. وقد شهد لهُ ادباء عصرهِ بجود القريحة. قال الشيخ احمد البربير يمدحهُ :

رعى الله حمصاً اذ صبت نحوَ مَنْ لهُ ... بيانٌ سحبان في البديع من الشعر
بليغٌ غدا كالبحر والنظمُ درُّهُ ... وهل يُستفادُ الدرُّ الّا من البحر

ازهر ميخائيل البحريّ في اواخر القرن الثامن عشر وكنّا روينا في المشرق (٣ : ١٢) عن بعض الرواة انهُ ادرك القرن التاسع عشر ثمّ وجدنا في ديوان الشاعر المجيد بطرس كرامة (ص ١٠٤) تاريخاً لوفاة المذكور في سنة ١٧٩٩ قالهُ نظماً :

لكَ الرحمات يا لحداً ثراهُ ... بديعٌ فضلهُ سامي الارائكْ
ويا لهفي على من فيكَ اسى ... ويا اسفي لدرٍّ في ترائكْ
حويتَ الكوكبَ البحريّ علماً ... فيا عجبي لبحرٍ في خبائكْ
ولمّا ان ثوى نودي اليهِ ... هلمَّ الى سرورٍ في علائكْ
وفي الملكوت أرّخ ناطَ فوزاً ... بميخائيل تبتهج الملائكْ (١٧٩٩)

ولميخائيل البحريّ ذرّيّة كريمة جرت على آثارهِ نخصُّ منهم بالذكر ابنهُ عبّودًا او عبدالله البحري الذي ذكرنا بعض تفاصيل حياتهِ وتقلّبهُ في المناصب العاليـة عند ولاة الشام ولدى امراء مصر وكان رئيس قلم الانشاء عندهم لدينا من آثارهِ عدّة رسائل دوليّة واهليّة وكان بلغ النهاية في حسن الخط. وفي عبّود البحريّ قال الترك في موشّحهِ الذي كتبهُ سنة ١٨٠٩ يمدح بعض اصحابهِ في دمشق :

كم تباهت دُرَرُ البحري على ... كل ذي نظمٍ بديعٍ وتسارْ
وشدتْ من فوق أعلى الصُّحف لا ... يُنبت الدرَّ العفي الّا البحارْ
زُمَرُ الكتّاب طرّاً والملا ... من أولي الألباب تولية الوقارْ
كم تراهُ جاذباً ان رَقَما ... مدنَ الارواح كالمغنطيس
بل وكم يسبي عقولاً حين ما ... يُظهرُ الآيات فوقَ الطرسِ

ومِمَّن مدحوا عبُّود من الشُّعراء سليمان صوله قال فيه :

مولَى أبى الفضلُ الّا ان يلازمَهُ فلم يتمّ بمكانٍ فيهِ لم يَقُم
فقه منهُ ملاكٌ يرتقي فرقاً وكوكبٌ ناطقٌ يسعى على قدمِ
لهُ يدٌ تخجل الابحار بالكرم السرّحار والذابل الخطّار بالقلمِ
اضحى لدائرة المعروف والكرم الموفور قُطبَ ملّا لولاهُ لم تَدُمِ
اهديكَ ياخلف البحريّ عاطفةً لماتوّر المجد حدي جوهر الحِكَمِ
اذا قبلتَ جا كان القبولُ لها اعلى واغلى من الياقوت في القيمِ

وكانت وفاة عبُّود سنة ١٨٤٣ فرثاهُ المعلّم بطرس كرامه بقصيدةٍ طويلة قال فيها :

يالمنيَّة قد جازت وقد قدرتْ بدر فضلٍ لهُ الاداب هالاتُ
مولى اليراعة عبدالله مَنْ فُقدت لفقده وانقضت تلكَ البراعاتُ
يا طالما سبكتْ اقلامهُ درراً تقلّدت بلآليها الرسالاتُ
وكم على وجنة القرطاس في يدهِ تفاخرت بديع الخط لاماتُ
ما لاعبتْ قلماً يوماً انامله الّا نَبتْ مشرفيّات صقيلاتُ
لمّا انى الناسَ ناعيهِ بكت اسفاً من اليراعة دالاتٌ ومبسماتُ

وكذلك اشتهر اخوهُ حنا البحريّ فمدحهُ الشاعر المذكور غير مرّةٍ (ص ٢٨٧ ٢٨٩, ٣٠٢) كما مدح اخاهما جرمانوس فمن قولهِ في هذه الاسرة وكان ميخائيل البحريّ خالاً لبطرس كرامة (ص ٢٨٨)

بنو البحر الّا انّهم درر الملى واهلُ الوفا لكنّ دأبهم البرُّ
وما منهمُ الّا نبيهٌ مهذَّب نراهُ بديوان اليراع هو الصدرُ
بجرمانس ساد الحسابُ واصبحتْ دفاترهُ الزهراء يشتهيها الزهرُ
يريك اذا هزّت براعاً بنانهُ عقودَ جمانٍ عادضها الحبرُ
وفاخرَ يوحنّا بانشائهِ الصبا فرقّت لالفاظٍ بها انعقدَ الدرُّ
تودُّ ذوات الحسان اذا انتضى ليكتب سطراً انّما ذلك السطرُ
هما فرقدا اوج اليراعة والثّنى وابناء بيتٍ مهدُهُ النظمُ والنثرُ

وللمعلّم بطرس مدائح أُخرى في بني البحري منها تاريخهُ لوفاة اندراوس البحري سنة ١٨١٦ (ص ٢٦١) ختمهُ بهذا البيت :

تلقّاهُ الاله يقولُ أرّخْ وبشِّر الملكَ المعدَّ لذي اليمنِ

ومنها تاريخهُ لوفاة عبدالله البحريّ ابن اخي ميخائيل سنة ١٨١٩ (ص ٢٦١) قال في ختامه :

برٌّ بغفران الاله مؤرّخٌ ونُعمٌ في روضة الافلاك

وتاريخ وفاة ابرهيم البحري (سنة ١٨٢٢) المختوم بهذا البيت (ص ٢٦٢):

وفي الملكوت حاز لدى الهِ مع الأبرار أرخ خير روضه

وكان ميخائيل الصبّاغ الذي ذكرناه في جملة مؤرّخي زمانه شاعرًا وسطًا استحبّ الاوربيّون شعره العربي فنقلوه الى الفرنسيّة فمن ذلك ما مدح به البابا بيوس السابع لمّا قدم فرنسة لتتويج نابوليون قال:

دهشت لرؤية وجهك الابصارُ وأضتْ لرؤيةِ مجدك الابصارُ
هذي العروسةُ يا سليمان انجلت في حسنها ولها القخارُ مطامُ

ومنها في المدح:

اليوم تحسدنا الملائكُ في السما لمّا نرى منّا العقولُ تحارُ
سامحْ نواظرنا اذ بكَ كرّرت نظراتها او زادها التكرارُ

ولهُ موشّح قالهُ في ميلاد ابن نابوليون الاوّل سنة ١٨١١ اوّلهُ:

هلّوا في الارض يا كلّ الامم واهتفوا فيها بألحان النغمْ

ومنها:

ايها القيصرُ بُلغتَ المنى كانَنا بالبكرِ خديكَ الهنا
انتَ منّا مستحقٌّ للثنا قد حيانا ربُّنا هذه النعمْ

ولهُ غير ذلك ممّا لا نتعرّض لذكرهِ والركاكة ظاهرة في معظم هذه القصائد والموشّحات ما يدلُّ على انّ صاحبها لم يُحسن علم العروض وانّما تعاطى النظم لستطافاً لبعض الذوات وحظوةً برضى العلماء المستشرقين (له بقيّة)

مطبوعات جديدة

LOUIS BREHIER: L'Eglise et l'Orient au Moyen-Age: Les Croisades. In-12, XIII-377, *Paris*, *Lecoffre*, *G. Gabalda et C^ie^*, 1907.(Bibl. de l'enseignement de l'histoire ecclésiastique).

الكنيسة والشرق في القرون الوسطى

هو أثر جديد من همة أصحاب الشركة التوليفية نشر تآليف شتّى لتعليم التاريخ الكنسي. مداره على ما ابدتهُ الكنيسة الرومانيّة من شارات الحبّ والانطاف الى الشرقيين وهو موضوع لم يكتب فيه احد قبل يومنا كتاباً مستوفياً. ومؤلف هذا التاريخ من كبار الاثريين تُغني شهرته بين العلماء عن تعريفه ومن يتصفّح تأليفهُ يقضي العجب

من وفرة ما جمعهُ لبيان قصدهِ فاتى بشواهد عديدة تنطق بهمّة الاحبار الرومانيين نحو الشرق فتارةً كانوا يوفدون الوفود الى ملوكهِ وتارةً كانوا يعقدون المجامع لصلاحهِ ويكتبون الكتابات والمناشير لترويج شؤونهِ . وكذلك بيّن الرلاء الذي كان يربط الشرق والغرب بتعدُّد الزوّار الى الاماكن المقدسة . ثم ذكر الحوادث التي اشتهرت في القرن الثاني عشر لخير الشرق ثمَّ ما أُرسل اليهِ من المرسلين الغيورين لانقاذه من البدع ولتوطيد الدين بين اهلهِ . ومجمل القول انَّ هذا التأليف من افضل واصدق ما كُتب الى اليوم في العلاقات والاواخي التي كانت تجمع الشرق والغرب المسيحيَّين في الاجيال المتوسطة . وقد لحظنا في الكتاب بعض اغلاط طبعيَّة خفيفة لا حاجة الى ذكرها . وكذلك تاريخ ١٣ آب ١٣١٠ (ص ٢٦) لفتح رودس ليس هو اكيدًا من حيث السنة اما اليوم فهو ١٥ آب كما ورد في تاريخ الاسبتاريين (Les Hospitaliers en Terre-Sainte et à Chypre par Delaville-Leroul, p. 278)

ر م

SYRISCHE RECHTSBUECHER herausgegeben und übersetzt von Eduard Sachau. I Bd, *Berlin, Reimer*, 1907, XXIV-224.

التآليف السريانيّة في الحقوق الشرعيّة

للسريان تآليف متعدّدة تحتوي القوانين الشرعيَّة التي كانوا يرجعون اليها في دعاويهم . والقسم الاكبر من هذه المصنَّفات يشتمل على قوانين الرسل والمجامع والآباء قد نُشر اكثرها بالطبع في هذه السنين الاخيرة بالكلدانيَّة او بالسريانيَّة . على ان لهذه الدساتير الدينيَّة قسمًا آخر يُلحَق بها وهو يتضمَّن قوانين رومانيَّة تُنسب الى قياصرة الروم كقسطنطين الكبير وثاودوسيوس ولاون وباسيل . وهذا القسم الثاني كان أشار اليهِ السمعاني في المكتبة الشرقيَّة ثم اقتطف منهُ شيئًا العلّامة لند في طُرَفهِ السريانيَّة (Land: *Anecdota Syriaca*, I, 30-64) ثمَّ اكملهُ المستشرقان الالمانيَّان ساخو (E.Sachau) وبرُنس (K. G. Bruns) فنشرا سنة ١٨٨٠ كتابًا غاية في الافادة عنوانهُ : « القوانين الدنيويَّة منقولة عن اللاتينيَّة الى الإرميَّة » لكنَّ المكتبة الواتيكانيَّة قد حصلت منذ سنين قليلة على مخطوطات سريانيَّة جديدة كان أهدى قسمًا منها الى مكتبة مجمع انتشار الايمان الطيّب الذكر السيّد اقليميس داود السرياني ثمَّ نُقلت هذه المخطوطات الى متحف برجيا ومنهُ الى الخزانة الواتيكانيَّة . فالمخطوط الموسوم بينها

بالعدد ٨١ يحتوي على ما هو أوسع وأصح مما نُشر سابقاً. فاحبَّ العلّامة ساخو ان يفيد المستشرقين بهذه الآثار الجليلة التي هي على ثلاثة اقسام القسم الاوّل يتضمّن احكام الملكين قسطنطين ولاون (ص ١ — ١٠) فيه ٧٥ بنداً والثاني يتضمن مجموعاً آخر لأحكام الملوك قسطنطين وثاودوسيوس ولاون (٤١—١٤١) وبنوده ١٥٨ والثالث هو مجموع للملوك انفسهم جمعهُ بامر القيصر والتثنيان القديس امبروسيوس اسقف ميلان (١٤٣—١٨٣) وبنوده ١٢٨. وبين هذه المجاميع الثلاثة موافقات عديدة بيّنها الموسيو ساخو وقد نقلها كلها الى اللغة الالمانيّة وألحقها بعدّة ملحوظات مفيدة. وقد وصفنا نحن ايضاً سابقاً في المشرق ٧: ٢٧٩) مثل هذه التآليف القانونيّة التي في جملتها قوانين مدنيّة تنسب الى قسطنطين والى ثاودوسيوس ولاون. وفي نصوصها اختلافات مع السريانيّة ولعلنا ننشرها يوماً تتمّة للفائدة

PATROLOGIA ORIENTALIS T. I. fasc. 5: Le Synaxaire Éthiopien. Le mois de Sané, texte et traduction par I. Guidi avec le concours de L. Desnoyers. *Paris. Firmin-Didot,* pp. 551-705.

السنكسار الحبشي: شهر سنا

السنكسار كما هو معلوم مجموع اخبار الشهداء والقديسين مرتباً على مدار السنة الكنسيّة ولهُ في كلّ الطوائف المسيحيّة شأن عظيم فيُعَدّ من جملة كتبها الطقسيّة تقرأ فصولهُ في الحفلات الدينيّة ليكون المؤمنون على بصيرة من معاني العيد وسيرة صاحبهِ. على ان السنكسارات الشرقيّة حتى اليوم لا تزال في الغالب مخطوطة قليلة الانتشار لما يقتضيه نسخها من النفقات. وعليهِ قد أحسن الذين تولّوا نشر اعمال الآباء في الكنيسة الشرقيّة اذ قصدوا نشر هذه السنكسارات في لغاتها الاصليّة كما فعلوا بسنكسار الاقباط (المشرق ٨: ٩١٢). وهذا مثال آخر من نشاطهم نريد السنكسار الحبشي. الذي اخذ بنشرهِ العلّامة الايطالي الذائع الشهرة اغناطيوس غويدي. وقد وردنا منهُ قسم يحتوي تراجم القديسين في شهر سنا الموافق لآخر شهر أيار الى ٢٤ حزيران. وهذا السنكسار الحبشي عزيز الوجود توفّق الاستاذ غويدي الى مراجعة ثلاث نسخ منهُ ترتقي احداها الى القرن الخامس عشر واثبت ما في هذه النسخ من الروايات والاختلافات والزيادات. والاصل الحبشي قد ضبطهُ الاستاذ ضبطاً تامّاً على مألوف عادتهِ في ما تولّى نشرهُ الى

اليوم . وقد ساعدهُ الموسيو دي نوّيه احد الفرنسويين في نقلهِ الى الفرنسويّة فجاء الكتاب وافياً بالمرام فتحض كلّ محبي آثار الشرق الدينية على اقتنائهِ ل . ش .

Dr P. THOMSEN. Loca Sancta. Verzeichnis der im 1. bis 6. Jahrhundert n. Chr. erwachnten Ortschaften Palaestinas. I, mit einer Karte. 8°, XVI-143. *Rudolf Haupt, Halle,* 1906.

الاماكن المقدسة في السنة القرون الاولى

أحرز ثقة العالم م . طومسن شهرةً بمقالاتهِ في « كتاب الاعلام » للمؤرخ لسابيوس وبابحاثهِ عن الآداب الفلسطينيّة (cf. ZDPV, t.XXVI et XXIX) وها انهُ الآن اتحفنا بكتاب جديد في « الاماكن المقدسة » . غير ان بعض الكتبة سبقوهُ في هذا الموضوع . منهم الكاهن ريس (Riess) الكاثوليكي فانهُ وضع سنة ١٨٧٢ معجماً دعاهُ « بجغرافية الكتاب المقدّس » ولم يقتصر فيهِ على ما يتعلّق بالعهدين القديم والجديد لكنهُ استطرد الى امور خارجة عنهما . ثمّ عقبهُ سنة ١٨٩٤ احد خدمة البروتستانت ا . ثون ستارك فراجع النظر في مؤلف سلفهِ (Palästina u. Syrien von Anfang der Geschichte bis zum Siege des Islam) وزاد عليهِ ايضاحات وملحقات تختصّ بالعصور المسيحية لولا انهُ لم يرد في عملهِ هذا اعذب . الناهل واصفاها فاتى كتابهُ غير وافٍ بالمرام . فنهض في هذه الاثناء العالم طومسن وتوخّى ألّا يوسّع نطاق تلك المباحث بل كلّف نفسه ان يتقصّاها وينقّب عنها بموجب اسلوب علميّ . وقد استهلّ كتابهُ بلائحة التآليف التي اخذ عنها . فمن طالعها لا يتمالك من الاقرار انهُ رجل خبير في اختيار المواد يتتبّع موضوعهُ ولا يحيد عنهُ البتّة . وفي المجلد الاول من هذا المؤلف يجد القارئ معجماً مرتباً حسب حروف الهجاء جُمع فيهِ ما يختصّ باي محلّ كان من فلسطين فيكتفي المطالع بوقتٍ وجيز لاسيما اذا كانت بين يديه مكتبة حافلة بالتصانيف ليعلم على اي منهاج يسلك في درس باشرهُ وحقيقة يريد اثباتها . وقد امعن النظر ملياً فيما يتعلّق في الاماكن التي يُرتاب بموقعها . لكنّنا نأخذ عليهِ وقوع بعض الخلل في رسم الخارطة واملنا وطيد باصلاحهِ في طبعة ثانية . وليس هذا مما يصدّنا عن ان نحض المؤلف عواطف الشكر لما اودع كتابهِ من الفوائد ولما ألحق بهِ من الفهارس . واما المجلد الثاني فانهُ سيخبرنا عن أحوال اورشليم وأديرة فلسطين في الستة القرون الاولى للمسيحيّة ومنذ الان نطل النفس بمطالعتهِ عن قرب ونتقرّظهِ بدون تردّدٍ واستثناء . س . ر

كتاب ذخائر لبنان

تأليف عزتلو ابرهيم بك الاسود

طُبع في المطبعة الشمالية في ببدا (لبنان) سنة ١٩٠٦ (ص ٢٢٠)

نقلت جريدة لبنان الغرّاء كلامنا في تاريخ عائلة الخلو مثنيةً عليه وكأنها خافت ان يكون فاتنا مراجعة كتاب جليل في اخبار لبنان صنّفهُ صاحب السعادة الوجيه الفاضل ابرهيم بك الاسود ودعاهُ ذخائر لبنان فاستلفتت اليه انظارنا وفيه ما تتمناه من ازالة السقم عن تاريخ جبل لبنان. فنشكر لراقم هذه الاسطر افادته. ثم نقول انه عرفنا هذا التأليف منذ صدوره واستشهدنا به غير مرّة وفي ذلك دليل على اقرارنا بفضل مؤلفه. وها نحن نكرّر الثناء عليه وعلى مضموناته المتعدّدة. لكنّ في تاريخ لبنان ثلمةً واسعة لا تسدّها مساعي بعض الافراد فلا بُدَّ لذلك من جمع القوى والتفتيش الطويل في القرى والاديرة وخزائن الخواصّ لأنَّ ما نعلمهُ عن لبنان بالنسبة الى ما نجهلهُ بمثابة قطرة من بحر. وقد سُررنا بما بشّرتنا به الجريدة بصدور الجزء الثاني من كتاب ذخائر لبنان فسانا نجد فيه كثيرًا من المعلومات التي لم نجدها في المطبوعات السابقة. مثلنا ان زمنًا طويلًا بهمة مؤلفه الاديب

الدرر السنيَّة في واجبات ذوي الدرجات الكهنوتيَّة

للاب هارل الكاهن الفرنسوي. ترجمها الى اللغة العربيَّة الخوري يوسف ديب

الجزء الثاني. طبع في المطبعة اللبنانيَّة في ببدا (لبنان) سنة ١٩٠٧ (ص ٢٦٢)

انَّ الكاهن ملح الارض ونور العالم فاذا فسد ذلك الملح اضحى بفساده الطعام تفهاً واذا انطفأ ذلك النور استولى الظلام على المستضيئين به. وغاية مؤلف هذا الكتاب الاب هارل نائب احدى رعايا باريس ان يزيد ذلك الملح قوّةً وذلك النور توقدًا. وقد سبق (المشرق ٦ : ٤٤٠) وعرّف الجزء الاوّل من هذا التأليف. وهذا الجزء الثاني كشقيقه في حسن انتقاء المواد وايضاح المعاني وقوة البراهين العقليَّة والنقليَّة مع ضبط الترجمة وسلاستها. فنحض الكهنة اجمعين على قراءة هذا الكتاب بل على تأمّل محتوياته فانَّهم يجدون فيه كلامًا مؤثرًا يُوقفهم على فرائضهم وواجباتهم المقدَّسة حتى

اذا ادركوها وساروا بموجبها دجروا نفوسهم ونفوس المسيحيين الذين نيط بهم تدبيرهم. ولنا في رواج الجزء الاوّل من هذا الكتاب ضامن اكيد على انتشار جزئهِ الثاني لاسيما ان نيافة الكردينال غوتي وضبطة بطريرك الطائفة المارونيّة اثنيا على هـذا المشروع الصالح وباركا مترجمهُ. ل. ش

شذرات

محطّات التلغراف الاثيري لا يزال التلغراف الاثيريّ الخالي من الاسلاك في ترقٍّ متواصل والدليل على ذلك ما أُنشيء لهُ من المحطّات المتعدّدة في بلادٍ شتّى. وللولايات المتحدة السبق في ذلك فان محطّات تلغرافها اللاسلكي تبلغ ٨٨ يليها الممالك البريطانيّة ٤٣ ثمّ ايطالية ١٨ ثمّ المانية ١٣ ثمّ هولندة ٨ ثمّ روسية ٧ ثمّ فرنسة ٦ وكذلك ٦ في الممالك المحروسة. وفي الارجنتين ٥ ومثلها في البرازيل والصين وجزائر انتيل. وفي اسبانية ٤ وكذلك الدنيمرك وفي اسوج ٣ وفي النمسا ٢ وكذلك رومانية ومراكش ومصر واليابان وجبل طارق. وقد أُقيمت محطّة واحدة منهُ في بلجكة والبرتغال وطرابلس الغرب وتونس وبلاد اخرى. وناهيك بهذا الجدول دليلًا على ما يجدون في التلغراف الاثيري من الفوائد للمخابرات. مثال ذلك محطّة برج أيفل فانها تخابر كل سواحل البحر المتوسط. وفي عدّة مراكب تجهيزات للتلغراف الاثيري تخابر البرّ في مدّة سيرها ثمّ تطبع جرائد يومية توزعها على الركّاب لتوقفهم على اخبار البلاد

خبز الذُّرة انّ مزارع الذُّرة متّسعة في بلاد اميركة. وقد اخذ قوم من ارباب الاملاك يستحضرون منها خبزًا يجدون فيهِ خواصّ خبز البرّ ولهم في تنظيفهِ وزيادة بياضهِ طرائق حسنة تجعلهُ في النظر كطحين القمح. فصار كثيرون يقبلون عليهِ ويأكلونهُ بدلًا من خبز البرّ ليس فقط في اميركة لكن ايضًا في بلجكة وشمالي فرنسة وهذا الخبز كثير التغذية طيّب الذوق فضلًا عن هوادة اسعارهِ. قلنا ذلك لافادة اهل بلادنا لاسيّما الفقراء منهم لكثرة الذرة عندنا. لكنّ في الذرة ضررًا اذا بولغ في اكلها فانهُ تسبّب في الجلد بثورات وخراجات يتأذى منها أصحابها

جُعَل دود القزّ ظهر هذه السنة في سواحل الشام صنف من الجعلان او الصراصير فتك بدود القز فتكًا ذريعًا حتّى اتلف منها قسمًا وافرًا.

فأصيب بسببه الاهلون بخسائر باهظة وما زادهم اسفاً انَّ المواسم كانت في هذه السنة على صلاح واقبال يتفاءلون بارباحها الغزيرة. وهذا الجُعَل صغير الجسم لطيفهُ ذو اربعة أجنحة منها جناحان غلافيَّان (coléoptères) يدعونهُ بكالوسوما (calosoma) اي اللطيف الجسم من احد الاصناف الضارَّة المعروفة بالنبَّاش (inquisitor). والصرصور المذكور اسود اللون الَّا انَّ هذا السواد ضاربٌ الى الخضرة تلوح في ظهرهِ لمن يرقبهُ بالمجهر نُكَت خضراء بديعة اللون ذات سياق ونظام بهيٍّ. ومن خاصَّتهِ انهُ يتسلَّط على دود القزّ فيقطعهُ بمخاليبهِ ويلتهمهُ بوقت قليل او يتلفهُ تماماً. واذ انتبه الاهلون الى اضرارهِ الجسيمة فعليهم ان يتعقَّبوا بزرهُ فيلاشوهُ ثمَّ يفكِّروا في الجمع الوسائل لدفع اذاه في العام المقبل وذلك اما بان تجعل الحصاص في بيوت نظيفة مقفلة واما ان تُحاط بشبَّكات من الاسلاك الدقيقة. ولعلَّ الاختبار يرشدهم الى استدراك اضرار هذه الدويبة بطريقة أخرى كتسميمها او قتلها

آثار نصرانيَّة في بلاد تونس بلغت النصرانية في شمالي افريقية في القرون الخمسة الاولى للميلاد مبلغاً عظيماً لا يكاد يتخيَّلهُ العقل. وكنَّا نعرف بذلك قبلاً ممَّا ورد في التواريخ القديمة واعمال الآباء. الَّا انَّ الآثار النصرانيَّة التي اكتشفها ارباب العاديَّات في بلاد الجزائر وتونس ومراكش قد جاءت مصدقاً على نصوص القدماء. ولا يكاد يأتينا عدد من المجلَّات الاثريَّة الَّا يفيدنا عن بروز مآثر جديدة من دفائنها. وممَّا وُجد آخراً قرب تابسَّا آثار كنيسة ملكيَّة مع كتابة فيها اسماء خمسة من الشهداء. وقد اكتشف الملازم بينه (Benet) مدفناً مسيحيًّا في طبرقة. وبقربهِ كنيسة كبيرة ذات ثلاثة اسواق والمدافن منقورة في الصخر على طبقتين يحتوي كل مدفن عدداً من هياكل الموتى. وفي هذه القبور نقوش عديدة رمزيَّة اعتادها النصارى كالحمَل والحمامة والسمكة والسفينة والطاووس وشعار اسم السيِّد المسيح باليونانية. وكذلك اكتشف قريباً في البلد عينه آثار دير للرواهب. وتوفَّق القومندان هانزو (Hannezo) الى اكتشاف بركة عماد قريباً من زغوان يُنزل اليها بثلاث درجات. وممَّا اكتُشف في سوسة صورة بديعة تمثل الراعي الصالح حاملاً على منكبيهِ النعجة الضالَّة وكذلك وجدوا قبوراً نصرانيَّة عليها كتابات راقية الى القرن الثالث. وألفوا ايضاً قالباً كانوا يضربون فيهِ ايقونات تقويَّة من المدن. ومن الآثار الجليلة التي عثروا عليها في انفيدة

معادن دينية ونواويس مع اسماء شهدا والساقفة ثم وقفوا على أعمال دقيقة من الفسيفساء البديعة الصنع البهيئة النقوش. واكتشف الاب ديلاتر من الآباء البيض مقبرة عظيمة في قرطجنة وجد فيها ١١٠٠ كتابة نصرانية مدفنية مع عدد وافر من الآثار والنقوش والمصابيح وغير ذلك مما اوجب له شكر العلماء عموماً والاثريين خصوصاً

أسئلة وأجوبة

س سأل جناب الأديب عيسى افندي معلوف: ١ اي موقع كفرعاقب المذكورة في بيت المتنبي:

اتاني وجد الادعياء واتهم اعدّوا لي السودانَ في كفرعاقب

وهل كفرعاقب هذه هي تحريف كفرعقاب من اعمال لبنان. ٢ من هم الادعياء المذكورون في هذا البيت. ٣ هل كفرعقاب المذكورة في اعمال الصليبيين (المشرق ١: ٨٢٧) هي القرية اللبنانية. ٤ ما المقصود بعقاب لبنان في هذا البيت الآخر للمتنبي:

وعقابُ لبنانٍ وكيف بقطعها وهو الشتاء وصيفهنّ شتاء

كفرعاقب وكفرعقاب

ج كنّا وددنا لو ذكر المتنبي اسم قرية لبنانية فاننا لا نكاد نعلم شيئاً عن قرى لبنان من عهده. وكفرعاقب التي ذكرها المتنبي قد نال فيها الواحدي والعكبري انها من قرى الشام. وزاد الامر ايضاحاً ياقوت في معجم البلدان (٤: ٢٦٠) انها قرية على بحيرة طبرية من أعمال الاردن. وفي معجم ما استعجم للبكري ما هو أدق واضبط قال (ص ٤٧٩) انها «تلقاء طبرية» وهو الصواب فان موقعها على عبر البحيرة من جهة جولان شرقي شمالي طبرية تدعى اليوم دكة (وقيل دوقة) كفرعاقب. ومن ثم ظهر الفرق بينها وبين كفرعقاب اللبنانية. اما كفرعقاب المذكورة في اعمال الصليبيين فانها من القرى المجاورة للقدس. ويوجد في السامرة قرية أخرى تدعى كفر عقب ذكر العلامة جرين (V. Guérin: *Samarie*. I, 204). اما الادعياء الذين ذكرهم المتنبي في بيته فقد اتفق الشراح على انهم «قوم يدّعون نسب عليّ» ولعلهم المعروفون اليوم بالمتاولة. اما عقاب لبنان المذكورة في البيت الثاني فهي ثنية تدعى بوادي عُقاب موقعها «في الجبل الذي يطلّ على غوطة دمشق في ناحية حمص» (ياقوت) سُميت بذلك «برواية لخالد بن الوليد مستى العُقاب» (البكري). وقد ذكرها الاخطل (ص ١٩) ل. ش